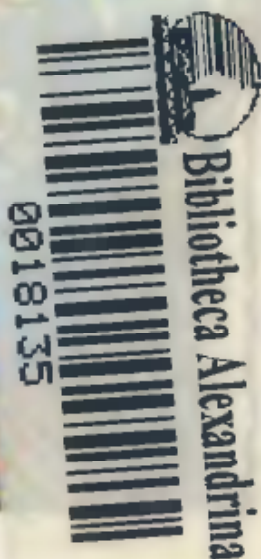
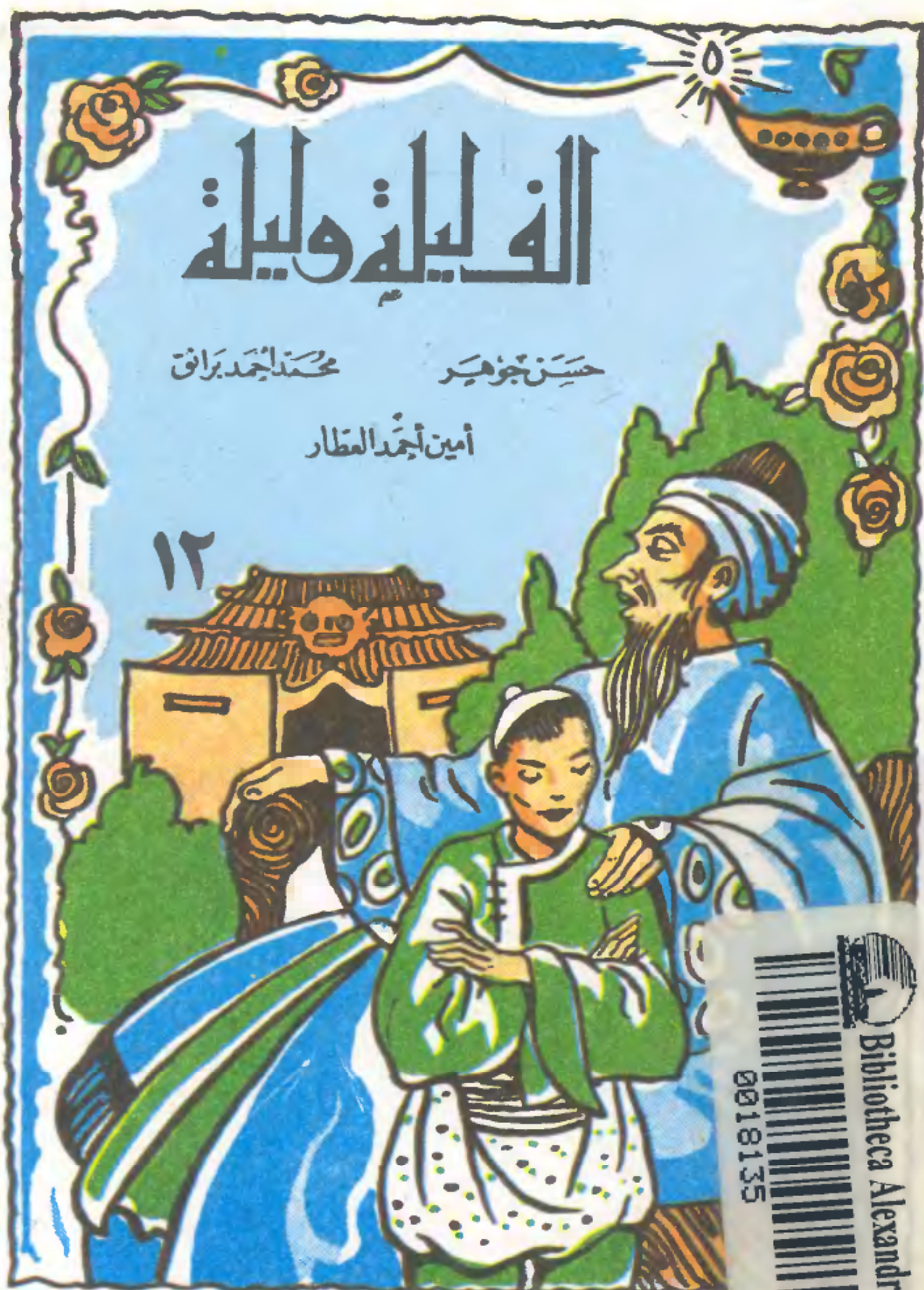


الف ليلة وليلة

حَسَنُ بَؤْمِيرَ مُحَمَّدُ أَحْمَدُ بَرَّاقُ

أَمِينُ أَحْمَدُ الْمُطَارُ

١٢



الف ليلة وليلة

الجزء الثاني عشر

علاء الدين و المصباح العجيب

كتبه

حسين جوهري

أمين أحمد العطار

الطبعة الثانية



رسوم: الفنانة النمساوية ستيللا يونكرز

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

الجزء الثانى عشر

صفحة

- عجيب وغريب وسهيم الليل ٥
- علاء الدين والمصباح العجيب ٩٣



عجيب وغريب وسهيم الليل

١

كندمر ملك "عظيم" وشجاع "شهم" ، رزقه الله على الكبر ولداً سماه
عجيباً ، فرباه وعلمه ، ولقنه شرائع دينه على يد كاهن من كهانه ،
وأخذه بضروب الفروسية وركوب الخيل وأبواب القتال والحرب ، وبدأ
العقد الثاني من حياته مغترّاً بشجاعته وسلطان أبيه ، فكان يخرج في
ألف فارس إلى الطرق فيزجج أمنها ، ويقطع السير فيها ، ويسبي بنات
الأمراء والكبراء ، فكثر الشكوى منه إلى أبيه ، وضجّ من معاملته كل
قريب وبعيد ؛ فأمر أبوه بضربه وتعذيبه وحبسه في مكان مظلم لا يرى
فيه يده ، وبعد يومين من حبسه شفع فيه الوزراء عند أبيه فعفا عنه وأطلقه .
كانت نفس عجيب ممتلئة غيظاً من أبيه ، لأنه ضربه وعذبه

وحبسه ، فانتظر عشرة أيام بعد خروجه من الحبس ودخل عليه ليلاً في حجرة نومه وذبحه .

وفي الصباح جلس على كرسى الملك ، ورجاله وأعوانه وقوفاً من حوله ، وسيوفهم في أيديهم مُصلّية مشهورة : ولما حضر الوزراء والأمرأء إلى قصر الملك على عادتهم أراهم ما فعله بأبيه وقال لهم : من رضى بي ملكاً فقد حقن دمه ، ومن اعترض وعصى سفكت دمه ، وكان مصيره مصير أبى : فخافوا على أنفسهم وقالوا : أنت ملكنا ، ونحن أعوانك المخلصون ؛ فاطمأن فرحاً وأسبغ عليهم ماله وإحسانه ، كما أسبغ على رؤساء البلاد عطاياها ومنحه ، فأطاعه الناس ودانوا له بالولاء مُرغمين !

وبعد خمسة أشهر من حكمه ، رأى في منامه ما أفزعته : وطرد النوم من عينيه بقية ليلته ، فأحضر إليه في الصباح المفسرين للأحلام ، وقال لهم :

رأيت الليلة في منامى كأن أبى قد أمى ، وقد خرج منه شيء صغير في حجم النحلة ، فجعل ينمو ويكبر حتى كان سبعا له أظفار كالخناجر ؛ فوثب على ، وبقر بطنى ، فانتبعت خائفاً مذعوراً ؛ فما تأويل هذه الرؤيا ؟

فنظر بعضهم إلى بعض : وفكروا ملياً ثم قالوا : سيولد لك أخ من أهلك ، وتضطرم بينكما نار العداوة والبغضاء ، وسيظهر عليك ، فخذ حذرَكَ من الآن .

فثقل عليه قولهم : وتشاءم منهم . وطردهم : ثم أمر أن تفحص
جوارى أبيه ، فعثر من بينهن على جارية حُبلى ، وقد مضى على حملها
خمسة أشهر . فأمر عبدين من عبيده أن يأخذاها إلى البحر ويغرقاها فيه .
كانت الجارية جميلةً مؤدبة . ولما ذهب العبدان بها إلى البحر :
عز عليهم أن يغرقا هذا الأدب والجمال والخلق الكريم من غير ذنب
أو جريمة ، واتفقا على أن يتركاها في غابة بعيدة . ويفوضا أمرها إلى
الله : فسارآ بها في الصحراء وأبعدا في المسير ، فوجدا غابة كثيرة الأشجار
غزيرة المياه . فتركاها في الغابة وحدها . وقالا لها : لو استطعنا أن
ننجيك من الغرق بأحسن من هذه الحيلة لنفعلنا .

فحمدت لهما كريم معروفهما . وقالت : تركتاني عند ربى الذى
خلقنى ، وهو أرحم بى من أمى وأبى .

ثم رجع العبدان فلقبهما جماعة من قطاع الطريق فقتلوهما .
أقامت الجارية في الغابة وحدها : تأكل من ثمارها ، وتشرب من
مياهاها ، حتى أتمت مدة حملها ، ووضعت ولداً سمته غريباً ، وعكفت
على إرضاعه حزينةً مستوحشةً : لا تدرى ما يضممر الغيب لها .

وبينما هى جالسة يوماً من أيام وحدتها . وابنها فى حجرها تُرضعه ،
إذ بفرسان قادمين إليها ، وكانوا خمسمائة من بنى قحطان . خرجوا
للصيد فى قيادة أميرهم مرداس . وكانوا قد صادوا كثيراً من الحيوان
والطير ، فسألها الأمير عن أمرها واعتزالها فى هذه الغابة . فسردت عليه
قصتها غير تاركة منها شيئاً . فعجب الأمير من الأقوياء للضعفاء ،

وفاض قلبه رحمة بها ، وعطفاً عليها ، فرجع بها إلى بيته وتزوجها ، وعاشت في ظلال من نعمة سابغة ، وكنف من العز والسيادة ، وحملت من الأمير فولدت له ولدًا سماه سميم الليل ، ففرح به كما فرح بأخيه غريب من قبل ، وعنى بتربيتهما وتعليمهما أمور الدين وضروب الفروسية ، فكانا موضع إعجابه وإعجاب قومه ، وكانا له أعظم قوة .

وكان لمرداس ابنة اسمها مَهْدِيَّةُ بارعةُ الحسن ، رائعةُ الجمال ؛ تهامس الناس بفتنتها ، وشاع بينهم ما هي عليه من خلق كريم ، وطبع جميل ؛ وترامت أخبارها إلى الحمل بن ماجد سيد بني نهبان ؛ فخطبها من أبيها مرداس لنفسه ، فما رضى مرداس أن يزوجه منه ، ورده خائباً ، فلم يحتمل ابن ماجد هذه الصدمة ، واعتبرها إساءةً له من مرداس ، فعزم على أن ينتقم منه ، وأن يغزوه ويخطف ابنته مهدية أسيرة .

انتهز الحمل بن ماجد فرصة غيبة مرداس عن دياره في حفلة عرس دعاه إليها أحد أمراء العرب ، وأغار على دياره في خمسمائة فارس ، وقتل كثيراً من الرجال وسبي كثيراً من النساء وفيهن مهدية بنت مرداس . وكان غريب وأخوه سميم قد خرجا للصيد في جماعة من الفرسان ، فلما رجعوا إلى الديار وجدوا الحمل بن ماجد وفرسانه قد مزقوا شمل الرجال الذين فيها ، وسبوا مهدية وغيرها ، فثارت ثائرتهما ونحاصاً غمار حرب طاحنة أذاقوا فيها الحمل وفرسانه الويل والهلاك ، وقتلا الحمل وكثيراً من أتباعه ، ولم يجد بقيتهم منجاةً لأنفسهم إلا الفرار ، تاركين من أسروا من الرجال ، ومن سبوا من النساء ، وردوا إلى الديار كرامتها ،

وذاع صيتُ غريب وأخوه فيها . ولما رَجَعَ مرداسُ وجدَ آثارَ معركةٍ حاميةٍ في الديارِ وحولها : ففرغَ وسألَ عما وَقَعَ في غيبته : فالتفتَ الرجالُ والنساءُ من حوله . وقصوا عليه ما حصل . وجعلوا يشنون على غريب وأخيه سميم وشجاعتَهما وقالوا :

لولا غريبٌ وشدةُ بأسه لوجدتَ الديارَ خراباً .

وقالت مهديّةُ ابنته :

لولا غريبٌ لكنت الآن في قبضة الأعداء أسيرةً ذليلةً .

فزاد فرحُ مرداس بغريب . وأثنى عليه ثناءً جميلاً ، وقال :

أثمرت تربيتي : وبورك لي فيك . وكان سميم قد جرح في هذه الموقعة .

٢

عرف غريبٌ أن مرداساً يحبه ، وأن له منزلةً ساميةً ، وقدراً عظيماً في نفسه ؛ كما عرفَ أن ألسنة القوم تلهجُ بالثناء عليه في كل مكان ، فأطمعهُ هذا في الزواج من مهديّة وخطبتها من أبيها ، وتحدث برغبته هذه إلى بعض أصحابه ، ونقلها هؤلاء إلى غيرهم ، حتى ملأت أسماع الناس ، وطرقت آذان مرداس .

وظن غريبٌ أن هذه الرغبة محببة إلى مرداس ، وسيزيد بها عنده رفعةً في قدره . وتوثيقاً في الرابطة بينه وبينه ، كما ظنّها آية كبرى لولائه ووفائه ، ومظهراً لاندماجه في بيت مرداس ، حتى كأنه خلق من

دمه ، له عليه واجبُ الابوة وطاعةُ البنوة ؛ ولهذا كان عظيمُ الأمل في تحقيقها : قوى الرجاء في الاستجابة إليها ، ولم يدر أن القدر يتجهُ بها إلى غير ما يرجو ويأمل ، فتقدم إلى مرداس ، وطلب يد ابنته مهدية ، وخطبها منه ، وانتظر الترحيب والتقبول ؛ ولكن كم كانت دهشته حينما رأى إعراضَ مرداس عنه ، وقد بدا على وجهه أنه غضب غضباً عظيماً ، إذ رأى في ذلك من العار ما لا يحتملُ السكوت عليه ، وقال في نفسه : كيف أزوج ابنتي من ابن جارية منبوذة في العراء ، وما رَضيت لها أبناء الملوك والأمراء ؟ ! إن في ذلك عاراً لا يغسله إلا دمُ هذا الفتى ، ابن الغابة . وابن الجارية .

وأفضى مرداسُ بهذا إلى رجل من عقلاء قومه ، فقال الرجل : إنك أنقذته وأنقذت أمه دونَ دم سفكته أو سيف شهرته ؛ أما غريبٌ فقد أنقذ ابنتك وأنقذ قومك وأهلك بسيفه الذي قهر به أعدائك ، وخاضَ غمرات الموت من أجلك ؛ فما أعظم وفاءه ! ! وما أخلص ولاءه ! فلا تكن بقتلك إياه أغدرَ وأأمَ .

فقال مرداس : لقد أخرجنا هذا الفتى من خزي الهزيمة والأسر والسبي بقهره أعداءنا ، إلى عار الفضيحة بطلبه مصاهرتنا ، ولا بد من قتله . فقال الرجل : إذا كنت مصراً على قتله فلا ينبغي أن ينسب إليك أنك قتلت بسيفك ، أو يعرف الناس أنك أغريت به ، ودبرت له من قتله ، فإنه — كما قلت — غدرٌ ، والغدر لا يليق بشرفك ومروءتك .

فقال مرداس : عليك أنت تدبير الخطة لقتله ، بحيث لا يمسنى

منها لغو ، ولا تمسنى منها ظنون ؛ فلا يقول أحد : قتل مرداس " منقذ قبيلته ، ومنقذ شرفه من الأسر والسبي . فقال الرجل يخرج غريب للصيد كعادته ؛ ثم تخرج أنت للصيد فى جماعة أشداء من فرسانك . وتكمن لغريب فى طريق عودته من صيده . فإذا رأيته قادماً فاهجم عليه وعلى من معه بفرسانك ، من غير أن يعلموا أنهم يهجمون على غريب وعلى رجاله ، ولكنهم يظنون أنكم تهجمون على جماعة من الأعداء وعلى جماعة أتيتكم فى طريقكم إلى الصيد . فخرجتم لنهب أموالهم . فإذا ما قتلتهم عدت بفرسانك إلى الديار ، وارتقب أمام الناس عودة غريب ، وفرسانه من رحلة صيده .

اطمأن مرداس " إلى هذا التدبير وأعجبه ؛ وبعد أيام خرج غريب للصيد مع رفاق له . فرأى مرداس فرصته ، فأخذ معه مائة وخمسين من فرسانه الأقوياء ، وسار بهم فى طريق غريب الذى سيرجع منه ، بعد أن ينتهى من رحلته ، وفى أثناء سيرهم وجد مكمناً فى جبل فعرض عليهم أن يستريح فيه بعض الوقت ، حتى يزول ما شعر به من تعب ، فاختبأوا فيه ، وما لبثوا غير قليل حتى هجم عليهم أخو الحمل بن ماجد الذى قتله غريب " ، فى خمسمائة من العمالق لياخذ بثأر أخيه ، وكان قد وضع عليه الرقباء والجواسيس ليأتوه بنخبه فلما خرج للصيد طاروا إليه فأخبروه بذلك ، فقتل منهم ستين ، وأسر مرداساً ، وبقية فرسانه التسعين . فأوجع مرداساً ندمه ، وقال فى نفسه : لقد مكرت بغريب . ولا يحق المكر السىء إلا بأهله ، وأقام أخو الحمل فى هذا المكان ليبيت فيه

ويريح فرسانه ، ثم يرحلوا في غدهم أو بعد غدهم راجعين .
 كانت مهديّة تعلم الغرض الذي خرج أبوها في الفرسان من أجله ،
 فدخل عليها أخوها سهيم " لزيارتها وسألها عن أخيه غريب فقالت : إنه
 خرج للصيد ، وإني أخبرتك الآن بأمر خطير شأنه ، وخيمة عاقبته ؛
 وجات له ما دبره أبوها لقتل غريب ، ثم قالت :
 فوجب عليك الآن أن تكون عند أخيك ، وتطلعه على ما دبر له
 أبوك ليبطل كيده ، فإن قتل أخيك "خسران" مبین ، فهو الذي كشف
 عنا بلاء الأعداء ، ولولاه لمتنا وطمست آثارنا .

فأظلمت الدنيا في وجه سهيم وخشى أن ينزل القضاء بأخيه قبل أن
 يدركه ويصل إليه ، ولذا ركب جواده ، وتقلد عدة حربيه . وأسرع
 إلى أخيه فوجده في مكان صيده ومعه كثير من المصيد ، فعتب على أخيه
 غريب أن خرج دون أن يعلمه ، فقال :
 أشفقت عليك لأنك لا تزال جريحا ، فأحببت أن أريحك حتى
 تشفى . فلماذا جئت وأتعبت نفسك ؟ !

فقال سهيم : جئت لأطلعك على ما دبر لك أبي مرداس من غدر
 وغيلة ، ثم أطلعه على جملة الأمر وحذره .

فقال غريب : وقانا الله شره ، ولن يصيبنا إلا ما كتب لنا .
 رجع الأخوان : غريب " وسهيم " وهما حذران يقظان : وقربا من
 "معسكر أخى الحمل بن ماجد ليلاً" . فسمعا صهيل خيل واقفة . فقال
 سهيم : هنا أبى وجماعته ، فسر بنا في طريق بعيد عنهم حتى ننجو منهم .

فقال غريب : انتظرنى هنا .

ونزلَ عن جواده ، ومشى إليهم مستخفياً . فسمع جماعة منهم
يتهايمون ويتقاون ما تقتل مرداساً إلا فى أرضنا . وعلى مالأ من قومنا ، وبذلك
تطمئن قلوبنا فى صدورنا بعد أن أقمتموها غريب بقتل أميرنا الحمل بن ماجد .
فعلم من ذلك أن مرداساً وجماعته وقعوا أسرى فى قبضة رجال الحمل
ابن ماجد ، واسترق الخطا ، ومشى الطوينى مترقياً . حتى كان بينهم ،
وعرف مكانَ مرداس ورجاله ، فسار حتى اتىه . فحل وثاقه . وقال له
هامساً فى أذنه : سلمت وسام رجالك . وقال له : خذ جواداً وتسلسل إلى
أخى سهم فى مكانه . . . وكذلك فعل ببقية رجاله التسعين . ثم رجع إلى
أخيه فوجدهم عنده . وقال لهم : فى الثالث الأخير من هذه الليلة نخطط
بالأعداء فى معسكرهم ونصيح قائلين : يا بنى قحطان : اضربوا فوق
الأعناق . . . فيهبون من نومهم يقتتلون ، ويضرب بعضهم بعضاً .
وحينئذ ننسحب بعيداً عنهم حتى الصباح ، ثم نهجم عليهم بأسلحتنا
بعد أن يكونوا قد ضعنوا ، وأباد بعضهم بعضاً ، فيواون الأدبار خاسرين .
وكذلك فعلوا ما أشار به عليهم غريب . فهزموهم ، وأخذوا أسلابهم ،
ورجعوا إلى ديارهم فرحين ، وذاع خبرهم فى الأحياء فارتفعت منزلة غريب
فى نفوس القوم . وأحبوه ، وأقبلوا عليه يهنئونه ، ويشنون عليه .

رأى مرداس نجم غريب يتلألأ في سماء قومه ، فحنق عليه ، وژاد بغضه إياه . لأنه ظن أن صنيعة معه وإنقاذه من الأسر هو ورجاله سيزيده هذا طمعاً في مهديّة ابنته ، وأنه سيخطبها منه علانيةً ، وأقضى بما في نفسه إلى رجل من عقلاء خاصته ، فقال الرجل لا يزعجك هذا ، واطلب منه مهراً لابنتك إن خطبها لا يقدر عليه ، وحينئذ تكون قد أرضيت نفسك بالحيلولة بينه وبين ابنتك . دون أن تظهر له بمظهر الراض الطارد . فتقبل مشورة صديقه فرحاً مشنياً عليه .

وفي الصباح جلس مرداس في خيمته . وجاءه رجال حاشيته من كبراء العرب ورؤسائهم : يجلسون معه حسب عادتهم ، وأقبل عليهم غريب فاستقبلوه استقبالا كريماً وجلس معهم ، ثم قال : يسرنى أن أكون منكم ، ويشرفنى أن أتقدم إلى ابنة الملك مرداس خاطباً . وأملى عظيم في قبول زوجاً لنا ، فما أنا إلا ابنُ الملك مرداس ، وصنيعةٌ يديه ومروءته .

فقال مرداس : نحن لا ننسى فضلك ومروءتك ، وبنى مهديّة شيء يسير بجانب ما قدمته إلينا من معروف ، وإكنك تعلم أن مهر بنات الملوك لا يقدر عليه إلا الملوك وأبناؤهم ، ولو أن عرف العرب يرتضى أن أهديها لك لأهديتها لك دون مهر ، راضية بذلك نفسى ، لأنك أعز عندي من ولدى .

فقال غريب : شكراً لك ، واطلبُ مني ما تشاء من المهر .
 فقال مرداس : وهناك شيء آخر لا يقل شأنًا عن مهرها ، فقد
 حلفت ألا أزوج مهدية إلا ممن يأخذ بثأري من أعدائي .
 فقال غريب : ومن أعدوك هؤلاء حتى أشفي غيظ قلبك بسحقهم
 يطمس آثارهم ؟
 فقال مرداس :

كان لي ابن شهيم بطل ، خرج إلى الصيد ومعه مائة فارس ، وجعلت
 لبراري تتقاذفهم وهم يسرون حتى وصلوا إلى وادي الأزهار وقصر صااص
 بن شيث بن شداد بن عاد ، وفي هذا الوادي رجل أسود اللون كأنه الليل
 بارع الطول كأنه النخلة ، بلغ من قوته أنه يقتلع الشجرة ويحارب بها ،
 يطلع هذا الرجل على ابني فقتله وقتل فرسانه ، وما نجا منهم إلا ثلاثة
 يرسان هربوا في جنح الظلام ، وأخبرونا بما جرى ؛ فذهبتُ بجنودي
 قتاله ، فكاد يهلكنا ، ففررنا منه خائفين حائقين ، وحلفتُ ألا أزوج
 بنتي إلا ممن يثأر لي من هذا الأسود اللعين .

فقال غريب : أعانني الله على الأخذ بثأرك وبلوغ مأربك فيه .
 ثم انفلت إلى أمه وأخبرها بما عزم عليه من الرحيل إلى وادي الأزهار ،
 قالت :

إن مرداساً يبغضك ، ويحتالُ لقتلك ، وما بعثك إلى هذا الوادي
 لا لتقبر فيه ، ويطفيء مصباح حياتك هذا العملاق الأسود ، وإني
 شير عليك أن تأخذني معك وترحل من هذه الديار الظالم أهلها .

فقال غريب : لن يكون منى رحيل إلا إلى وادى الأزهار ، ولن أرجع منه إلا فائزاً منصُوراً .

وكان لغريب أصحابٌ من الفتية الأقوياء ، وعلموا من أمره ما علم ، فجاءوه وقالوا : إنا معك حيثما ذهبت ، فاضرب لنا موعداً نرحل معك فيه إلى وادى الأزهار ، فقال : شكراً لكم أيها الرفاقُ البررة ، وموعداً صباحُ الغد . .

وفى الصباح جدوا في المسير وأغدوا ، فوصلوا إلى جبل به ماء ، ونزلوا عنده ليستريحوا ويريحوا جيادهم ، وقام غريبٌ إلى الجبل يمشى في نواحيه ، فوجد غاراً به شيخٌ معمر . بلغ من العمر ثلاثمائة وأربعين سنةً ، غطت لحيته صدره . واختبأت عيناه في حاجبيه ، واختبأ فيه في شاربيه ؛ فهابه غريبٌ واصفر لونه من الفزع . فابتدره الشيخ قائلاً : كأن قلبك لم يشبه إيمانُ بالله القادر القاهر ففزعت وخفت ، إنكم يا معشر الكفار تعبدون من دون الله ما لا يملكُ لكم نفعاً ولا ضرراً ، ولو آمنتم بالله الذى خلق الليل والنهار وسخر الشمس والقمر لثبت قلوبكم ، وآمنكم من خوفكم ، ونصركم على أعدائكم .

فقال غريب : وكيف عرفتَ هذا الإله أيها الشيخُ الكبير الفانى ؟

فقال : عرفتُه من آياته فى خلقه ، فهو الذى أبدعَ هذا الكون ، وهو الذى خلق الذكر والأنثى ، وهو الذى أمات وأحيا ، وهو الذى سخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى ، وهدانا إلى الإيمان به وعبادته الأنبياء والمرسلون ، فمن أطاعه أعزه ونصره وأدخله جنته ، ومن

عصاه أذله وأخزاهُ وأدخله النار . سبحانهُ وتعالى ! ! يعز من يشاء ،
ويذل من يشاء ، بيده الخير : وهو على كل شيء قدير . وإني يا بني
من قوم عاد الذين طغوا في البلاد . وكفروا بنبيهم هود وأكثروا فيها
الفساد ، فأرسل اللهُ عليهم ريحاً عاصفة فأهلكتهم ، وكنت قد آمنت
بالله ورسوله ، فنجاني مع من آمن ، ولبثت في هذا الغار أعبد الله .

فقال غريب : لقد حببتَ إلى دينك . فماذا أقول لأدخل فيه ؟ .
فقال الشيخ : قل : آمنت بالله الذي لا إله إلا هو . وآمنت باليوم
الآخر ، وبالقدر خيره وشره .

فقالها غريب مخلصاً لله ، وعلمه الشيخ شيئاً من وسائل التعب : ثم
سألهُ الشيخ عن اسمه وعن مقصده : فقال : اسمي غريب . وقص عليه
ما جرى له ، وأخبره بما عزم عليه من الذهاب إلى وادي الأزهار .
فقال الشيخ :

هل أصابك يا غريب مس من الجنون حتى تذهبَ إلى غول الجبل
وحدك ؟ ! !

فقال غريب : إن معي مائتي فارس من الرفاق المخلصين المؤمنين .
فقال الشيخ : إن ذهبت إليه في ألوف مؤلفة من أشداء الرجال فما هم
بمغنين عنك شيئاً . ونسألُ اللهَ لك السلامة من يده وسيفقه .

فقال غريب : ما دمنا قد آمنا بالله وحده فقد سلمنا وفزنا . ومن
هذا العملاقُ أيها الوالد الكريم ؟

فقال : إنه من أولاد حام ، واسمه سعدانُ الغول ، أعيا أباه نجباً

وإفساداً في الأرض فطرده ونفاهُ من بلاده : وساقهُ المسيرُ في الأرض إلى هذا الوادي وسكن فيه : وقطع السبل على الغادين والرائحين ، ورزقَ بخمسة أبناء ، كل واحد منهم بألف فارس ، وقد ملأ واديه بالأموال والمغانم ، وأسأل الله أن ينصرك عليه بمعونته وتأييده ، وإذا حملت عليه يا بني فاذكر الله تعالى وقل : الله أكبر ، فإنه يذل كل من طغى وبغى وتجبر . ثم أعطاه عموداً من الفولاذ ، زنته مائة رطل ، وبه عشر حلقات إذا هزه حامله أحدثت صوتاً كأنه الرعد ، وناولته سيفاً طوله ثلاث أذرع ، وعرضه ثلاثة أشبار ، وأهدى إليه درعاً وترساً ، ووصاه أن يحمل فرسانه على الإيمان بالله وعبادته حتى يمدّهم بنصر من عنده . فشكره غريبٌ وسلم عليه وسأله أن يدعو له بالنصر في خلوته ، ورجعَ إلى أصحابه فحدثهم بما وجدَهُ في غيبته ، ورغبهم في الإيمان بالله ، فأمنوا وآمن معهم أخوه سهيم الذي أدركه في رحلته ، بعد أن علم من أمه ما خرج أخوه غريبٌ من أجله . وساروا بجادين حتى أشرفوا على وادي الأزهار ، فرأى غول الجبل غبار مسيرهم ، فأمر أبناءه الخمسة أن يخرجوا ويأتوه بما يغنمون من أصحاب هذه الغبرة القادمة . ورأى غريبٌ خمسةً من العمالقة مقبلين عليهم ، فلكر جواده وانفلت من بين أصحابه ولقيهم فقال لهم : من أنتم ؟ وماذا تريدون ؟

فبرز إليه فلحون أكبر أبناء غول الجبل وقال : احقنوا دماءكم بالتزول عن خيلكم ، وليكتف بعضكم بعضاً ، لنسوقكم إلى أبينا يشويكم ويأكلكم .

فهرّ غريبٌ عموده في يده هزة صاصلت لها حلقاته ، وأدهشت ابن
غول الجبل ، ثم ضربه به ضربة خفيفة أوقعته على الأرض ممدوداً كأنه
النخلة السحوق الطويلة . وأسرع إليه سهيم وبعض من أصحابه وكتفوه ،
وربطوا في رقبته حبالاً وجروه كما يجرون دوابهم ، فخفف إخوته الأربعة ،
وحملوا على غريب حملة عنيفة ولكنه فعل بهم ما فعله بكبيرهم ، إلا
واحداً منهم ، فر إلى أبيه وقال : أسر إخوتي الأربعة فتى ما خط له عذار
وما نبت له شارب ؛ فقال : ويل للجبنة !!

ثم نزل من حصنه . واقتلع شجرة حملها في يده ومشى بها راجلاً
إلى غريب وصحبه ، وابنه من خلفه ، ثم ضربَ بها خمسة فرسان فهشمهم
وضربَ بها سهماً ضربةً زاغ منها ولم تصبه ، فألقاها غول الجبل من يده ،
وانقض على سهيم فخطفه ، فهجم عليه غريبٌ صائحاً : الله أكبر . . .
وضربه بالعمود ضربةً أسقطته مغشياً عليه ؛ ولما أفاق وجد أنه موثق بالكتاف
بين أبنائه ، وحاول حينئذ ابنه الذي كان من ورائه أن يهرب ، ولكن
غريباً أدركه ، وضربه بعموده فوق عن جواده في ذهول وغشية ، فكتفه
وحمله وألقاه بجانب إخوته . ثم انتقل غريبٌ وصحبه بهؤلاء الأسرى إلى
حصنهم في وادي الأزهار .

وفي إيوان فسيح ممدود ، ذى بناء فخم ، وسقف مرفوع قد نقش
بالذهب والفضة ، جلسَ غريبٌ على كرسي غول الجبل ووقف أخوه
سهيم عن يمينه ، ووقفَ صحبه يميناً ويسرة ، ودعا إليه غول الجبل فوقف
بين يديه ثم قالَ غريبٌ له : كيف حالك الآن ؟

فقال : فى أسوأ حال ، وذلة ووبال ، أنا وأبنائى موثقون بالكُتُفِـ والحبال .

فقال غريب : لأنكم عبدتم هواكم دون الملك الديان .

فقال غول الجبل : ومن الملك الديان هذا ؟

فقال غريب : هو الذى خلق السموات والأرض ، والشمس والقمر ، وهو الذى يولج النهار فى الليل ويولج الليل فى النهار ؛ وهو الذى فلق الحب والنوى ، وهو الذى أمات وأحيا . وهو الذى يطعم ويسقى ، وهو الذى يؤيد بنصره من آمن به وعبده . فهل لك أن تحمى نفسك وأبناءك بالدخول فى دينه ؟ !

فقال : نعم . وآمن هو وأبناؤه . ثم سأله عما فى حصنه ، فقال : مملوء بالأموال والتحف والخيرات .

فسأله : ومن هؤلاء الأسرى المربوطون فى الجبال ؟

فقال : إنهم أئمان من الأعجام ، ومعهم الملكة فخر تاج بنت سابور ملك العجم ، أسرناهم وجئنا بهم وبأموالهم إلى حصننا هذا .

فقال غريب : وهل مسست فخر تاج بسوء ؟ ! .

فقال : لا وحق الدين الذى دخلت فيه ، ولقد جعلت لها قصرًا

أقامت فيه ومعها جوارىها .

فقال : هيا بنا إليها .

ودخل غريب وغول الجبل عليها ، فوجداها جالسةً حزينة باكية ، ونظرت إلى غريب فلمحت فى وجهه أمارات الشهامة والرجولة ، فاستعادت



غول الجبل يهاجم غريباً وجنده

به أن ينجياها من غول الجبل وأبنائه : فقال لها : لا تخافى ولا تحزنى
فإنى رادك إلى أبيك آمنة مكربة .
فقال : حيت ونعم بالك .

فقال : وكيف وقعت فى يد غول الجبل ؟

فقال : خرجتُ فى فرسان أبى والجوارى إلى دير النار يوم عيدها .
فلقينا غولُ الجبل وأبنائه . وساقونا إلى حبسهم ، وما استطعنا أن نحمل
أنفسنا منهم .

فأمر غول الجبل أن يطلق الأسرى من قيودهم ، وبشرهم غريب
بالعودة إلى بلادهم آمنين . وقال لفخر تاج : انعمى بالمقام فى قصرك
أنت وجواريك حتى أرحل بكم أجمعين إلى أبيك .

ثم تركها وجعل يمشى هو وغول الجبل فى وادى الأزهار : فرأى
أشجاراً لا تحصى ، ذات أثمار وأزهار ، وطيوراً مختلفة الأشكال
والألوان ، وميادناً تنساب فى خلال الوادى كأنها الفضة الذائبة . فلذ له
المقام فيه ، وبعد ثلاثة أيام قال غريب : لأخيه سقيم : خذْ معك مائة
فارس وارجع إلى أبيك وأهلك وقومك وحبب لهم المقام فى هذا الوادى ؛ ثم
ارجع بهم إليه ليعيشوا فيه بقية حياتهم . أما أنا فسأذهب بالملكة فخر تاج
وجوارىها وفرسانها إلى أبيها . وأما أنت يا غول الجبل فانتظرنا أنت وأبنائك
فى هذا الوادى حتى نرجع إليك . فصدع كل منهم بما أمر غريب .

أما سابور ملكُ العجم فلم تعد ابنته إليه في موعدها ، فأرسل إلى الدير من ينقل إليه نبأها ، فقبل له : ما رأينا ابنةَ الملك في هذا العيد ؛ فرجع من فوره ، وبلغ الملك ما قيل له ، فحزن واضطرب ، وأمر عشرة قواد أن يركب كل منهم في ألف فارس ، وينتشروا في الأرض باحثين عن ابنته ؛ فصعدوا بأمره .

وأما غريب فإنه سار إلى سابور ومعه ابنته وجواريتها وفرسانها ، وبعد أيام من مسيره رأى غيرةً أمامه ، فبعث قائدَ العجم إليها ليأتيه بخبرها ، فلما وصل إليهم ، وسألهم عن شأنهم قالوا له :

نحن من بني هطال ، وأميرنا صمصام بن الجراح ، وعددنا خمسة آلاف ، خرجنا لانهب والسلب . فطار قائد العجم إلى غريب بنبئهم هذا : فنادى فيمن معه : أن احملاوا أسلحتكم واستعدوا للقاء هؤلاء الأعداء ، ودارت بين الفئتين معركةٌ حاميةٌ جال فيها غريب جولات حاسمة وكان يصيحُ فيهم قائلاً : الله أكبر ، أعز جنده ونصره ، وأذل من جحد وكفر ، ثم انكشفت المعركةُ آخرَ النهار عن قتل الصمصام بن الجراح وهزيمة أصحابه ، فباتوا ليلتهم يتساءلون : ما هذا الكلام الذي كلما سمعناه اهتزت قلوبنا وارتعدت فرائصنا . وخارت قوانا ، ووجدتُ سيوفُ أصحابه سبيلها إلى نحورنا وأجسامنا ؟ ! ثم اتفقوا على أن

يذهب عشرةُ فرسان من خيارهم ليسألوه عن كلامه هذا الذى ماسمعه قط .
استأذن العشرةُ ودخلوا على غريب فى خيمته فقال لهم : لأمر ما جئتم ؟
فقالوا له : آمنا ليذهب الخوفُ عنا . وأجلسنا لنفصى إليك بما
جئنا من أجله .

فقال : أمتم . واجلسوا ، وتحدثوا بما شئتم .
فقالوا : سمعناك فى المعركة تقولُ قولاً ما سمعناه قط ، وكان وقعهُ
فى قلوبنا أشد من وقع السيوف القاطعة .
فسألهم : ومن إلهكم الذى تعبدون ؟ !
قالوا : آلهتنا ودّ وسواع ويغوث .

فقال : وكيف تعبدون أصناماً لا تملكُ لكم نفعاً ولا ضرراً ؟ ! نحن
نعبد إلهاً واحداً أحداً . نخلق الأرضَ والسموات وما فيهن . ونأكلُ من
طيبات ما رزق ، وهو الذى أيدنا بنصره ، وهو الذى بيده ملكوتُ كل
شئ ، وهو على كل شئ قدير . فكيف تعبدون أنتم أسماء سميتموها أنتم
وأباؤكم ما أنزل اللهُ بها من سلطان ؟ !

فقالوا : لقد كنا فى ضلال مبين ، ونريدُ أن نعبدَ إلهكم الذى
تعبدون . فماذا نقول أو ماذا نفعل ؟
فقال غريب : قولوا : آمنا بالله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ،
فقالوا . وأسلموا .

فقال لهم : ارجعوا إلى قومكم وادعوهم إلى الإيمان كما آمنتم ، فإن
آمنوا سلموا ، وإن أعرضوا فلا يلومونَ إلا أنفسهم .

رجع العشرةُ إلى قومهم وشرحوا لحم الدين الحديد ، فأضاعت قلوبهم بنوره وآمنوا ، ثم ذهبوا إلى غريب وشكروا له أن كان سبباً في هدايتهم للإيمان ، وقالوا : نحن أتباعك ، ولن نفارقك ، فمرنا بما تريد . فأمرهم أن يسبقوه إلى وادى الأزهار حتى يرجع إليهم من عند سابور ملك العجم . ووصاهم أن يذكروا الله عند لقائهم غول الجبل حتى لا يصيبهم بأذى . استقبلهم غول الجبل ذاكرين ربهم بالحفاوة والإكرام ، وأخبروه عن حالهم ، وأن غريباً هو الذى أرسلهم ليقيموا فى وادى الأزهار . ففرح غول الجبل وأبناؤه بهم وغمروهم بإحسانهم .

ورحل غريبُ بابنة الملك ومن معها ، فبان له غبارٌ بعد مسيره بثلاثة أيام ، فقال لقائد العجم : اذهب وتعرف لنا شأن هذا الغبار . فرجع إليه مسرعاً وقال : هؤلاء القادمون فرسانُ الملك سابور أخرجهم يبحثون عن ابنته فخر تاج ، فأمر غريبٌ من معه أن ينزلوا فى مكانهم هذا حتى يصل القادمون إليهم ، فضربت الخيامُ ونزلوا فيها منتظرين . وكان طومان قائد فرسان الملك سابور ، فدخل على غريب وحياه . وسأله عن فخر تاج ابنة ملكه فأرسله إليها فى خيمتها ففرحت بلقائه وجعلت تشئ على غريب وأنه جدير بمكافأة عظيمة من أبيها ، وليس بكثير أن يهب له نصف ملكه ، ثم استأذنه طومان أن يسبقه ليبشر الملك بقدم ابنته فقال : اذهب وخذ منه البشرى ؛ ووصل طومان فى جنده ، ورحل غريب من بعده إلى مدينة الملك سابور ، وهناك بشره طومان بقدم ابنته ففرح ومنحه عشرة آلاف دينار ، وجعل له مدينة أصهبان

وأعمالها ، وفرحت أمها بنبأ قدوم ابنتها ، ووزعت على الجوارى والخدم العطايا والمنح ، وشاع الخبرُ في المدينة ، فلبست زينتها ، وخرج الملكُ وحاشيته وجنوده ، وجموعٌ من أهل المدينة للقاء ابنته .

ولما التقى الجمعان نزلوا وضربوا الخيام ، ولحجت الألسنةُ بالتهنئة في كل مكان ، واستقبلَ سابور غريباً فرحاً به ، شاكراً له ، حامداً حسن صنيعه ، وجميلَ معروفه ، ثم ذهبَ إلى ابنته ، وكاد يطيرُ من الفرح بعودتها ولقائها ، فجلس إليها وحدثته بما فعله غريبٌ معها وقالت له : زوجني منه يا أبى ليكون لك رداءً وقوة .

فقال أبوها : إن خردشاه ملكَ شيراز وأعمالها قد وهب لك مائة ألف دينارٍ وكثيراً من الحلل الحريرية ، فماذا نحن فاعلون به ؟ ! فقالت : إن لم أتزوج من غريب هذا فلست متزوجة من أحد ، وربما ضاقت الدنيا في وجهي وقتلت نفسي .

فقال : ما قدر لك سيكون .

وتركها وذهب إلى غريب ، وقضى معه بقية النهار ، ثم باتوا واستأنفوا عودتهم في الصباح ، وقد استقبلوا في المدينة استقبالا كله فرحٌ وغبطة ، وتوالت على غريب الهدايا والمنح من أكابر المدينة وأعيانها . وأقام في ضيافة الملك سابور منعماً مكرماً عشرة أيام ، ثم استأذن في الرحيل ، فحلف الملكُ ألا يرحل إلا بعد شهر ، فقال غريبٌ له — وكان ذلك في المجلس العام : للملك إنى في حاجة إلى الرحيل ، لأنى خطبت ابنة من بنات العرب ، ولا ينبغي أن تطول غيبتى عنها .

فقال سابور الملك : وأيهما أحسنُ وأفضل ؟ أمن خطبتها أم
فخر تاج ابنتي ؟ .

فقال غريب : وأين العبدُ من سيده ومولاه ؟

فقال الملك : إن ابنتي مدينةٌ لك بحياتها وليس لها زوجٌ سواك ،
والتفت إلى الحاضرين وقال : أشهدكم على نفسي أني زوجت ابنتي
فخر تاج من ولدي غريب هذا .

فقال غريب : شكراً لك ، واقترح ما تشاء من المهر .

فقال سابور : لا أريدُ مالاً ، ولكنني أبغى رأسَ الجمرقان ملك
الدشت ومدينة الأهواز صداقاً لابنتي .

فقال غريب : لك ما أردت ، وسأرحل لإحضار أعواني لأتوجه بهم
إلى الجمرقان ، وآتيك برأسه ، وانفض المجلس .

وخاف سابور أن يرحل غريب ولا يعود ، لأنه في شك من أنه
سيغلب الجمرقان ، وظن أن الجمرقان قاتله لا محالة ، فاحتال لتعويقه
وصرفه عن الرحيل إلى الجمرقان ، وأقام في الصباح حفلة لعب بالرماح
بين الأبطال والفرسان ، وأخذ غريباً معه إلى الملعب : فأعجبه ما شاهد
من لعب الأبطال ، ورغب أن يلعبَ معهم فقال للملك : أحب أن
ألعب بالرماح مع أبطالك ، على أن تلبسني ثوباً رقيقاً ، وتعطيني رُمحاً
لا سنان له ، وأن تضعَ مكانَ السنان خرقَةً مبللة بماء الزعفران ، فإن
غلبني بطلٌ من أبطالك فدمي حل له ، وإن غلبته وضعتُ على صدره علامة
من ماء الزعفران وخرج من الميدان سليماً . ففعل الملكُ ما أشار به غريب ،

ثم قال لأبطاله بلسانه : من غلب منكم هذا الفارس البدوى فله عندى ما يتمناه .

نزل غريب ميدانَ اللعب قائلاً : باسم الله توكلتُ على الله ، اللهم لا عونَ إلا منك . ولا نصرَ إلا بك . وجعل يغلب الأبطالَ واحداً فى إثر واحد . ويضعُ علامةً فى صدر كل منهم حتى لم يبق منهم أحد . وانفض الحفل وهو فائز مشهور . واستأذن غريب أن يذهبَ ليقضى حاجته . وأراد القدرَ أن يضل الطريق فى رجوعه من قضاء حاجته ، فدخل قصرَ فخر تاج زوجته وهو لا يدري . فاستقبلته فرحةٌ مستبشرة وبات عندها حتى الصباح . ثم دخل على الملك فى مجلسه فأجلسه بجانبه ، وحضر الكبراء والأمراء وجعلوا يشيدون بذكر غريب وشجاعته ، وبينما هم يتحدثون رأوا من شبك القصر غيرة لحيل قادمة . فأمر الملك أن يأتوه بخبرها . فقالوا : وجدنا مائة فارس فى قيادة أمير لهم يُسمى سهرم الليل . فقال غريب على الفور : هذا أخى قادمٌ إلىَّ فى حاجة كنت كلفته إياها . وإنى ذاهب لألاقيه . فخرج إليه فى فرسان من العجم وبني قحطان ، فتصافحا واعتنقا . وهما كل منهما أخاهُ بسلامة اللقاء ، ثم سأل غريب أخاهُ فقال : هل ارتحل القومُ إلى وادى الأزهار ؟ فقال سهرم : لم يكنُ مرداسٌ إلا خائناً غادراً : ولما عرف أنك ملكتَ حصنَ غول الجبل ووادى الأزهار كاد يذوب حسرةً وأسفاً ، ولأجل ألا تتزوج من ابنته مهدية رحلَ هو وابنتهُ وأهله وقومه إلى الملك عجيب ليزوجه ابنته مهدية ، ويتخذها ملاذاً وحمى .

فأسف غريب وقال : سأسقيه بعون الله جزاء خيانتته وغدره .
وعاد بأخيه وفرسانه إلى المدينة ، ودخل به على الملك الذى أكرم
لقاءه : ثم حكى غريبٌ للملك ما حدثه به أخوه سهيمٌ الليل ، فقال الملك :
أمرتُ لك بعشرة قواد ، مع كل قائد عشرة آلاف فارس من العرب
والعجم لتستعين بهم كما تشاء على من تشاء ممن تحدثهم أنفسهم أن يشغبوا
عليك ، أو يطمعوا فيك ؛ أو على من تريد أن تنتقم لنفسك منه لإساءة
أساء بها إليك ؛ أقدم لك هؤلاء القواد والفرسان وإن كنت أعلم أنك في
غير حاجة إليهم ؛ فإن الله قد وهب لك من القوة والشجاعة وقوة البأس
والقدرة على الاحتياال في الحرب والمبارزة ما يغنيك عن كل معونة ؛
ولكنهم على أى حال يكونون زينة في الرخاء ، عوناً عند الشدة والبلاء .
قبل غريب ما عرضه عليه الملك ، ولا سيما أن في نيته أن يتجه إلى
مرداس ، وأن يكون له معه شأنٌ بسبب غدره وخيانتته والتغريب به ،
والقذف به في المهالك للتخلص منه . وأخذ القواد والفرسان في الاستعداد
للرحيل في صحبة غريب ، وبعد ثلاثة أيام خرج بهم إلى وادى الأزهار ،
وهناك قص على غول الجبل ما كان من أمر مرداس ، فقال غول الجبل :
لا تعبأ به ولا بجنوده ولا بمن يلوذ بهم ، واسترح أنت في هذا الوادى ،
وأنا آتيك بهم مكثفين .

فشكر له غريب صدق مروءته ومعونته وقال : فلنذهب معاً إليهم .
فتركوا في الوادى ألنى فارس لحمايته ، ورحل جميعهم إلى مرداس عند
الملك عجيب .

أما مرداس فإنه قدم هو ومن معه إلى عجيب وعرفه بنفسه ، وأنه جاء ليجيره وينصره ، فقال عجيبُ :
قد أجرتك : فمن ظلمك ؟

فقال مرداس : فتى يسمى غريباً ، ربيته وكفلته ، وكنتُ قد وجدته رضيعاً في حجر أمه نصرّة ، في غابة سحيقة ، فتزوجت بها ورزقت مني بغيلاً سمّيته سقيم الليل . وقد أصبح غريب هذا بطلاً كأنه الصاعقة ، وقد أرادني على أن أزوجه ابنتى مهيديّة ، وهى فتاة لا تصلح إلاّ لك ، فاحتلت لقتله ، وطلبتُ منه رأسَ غول الجبل مهراً لها ، حتى يذهب إليه ولا يرجع . ولكنه غلب غولَ الجبل ، وملكَ حصنه وواديه وأصبح من أعوانه ، وبلغنى أنه دخل في دين جديد ، وأخذ يدعو الناس إلى الدخول في هذا الدين ، وأنه أنقذ ابنة سايور وفرسانه من قبضة غول الجبل ، وأرجعها إلى أبيها ، وهو الآن يملكُ من الأموال والفرسان ما لا حصر له . فخفت منه ونزحتُ بأهلى وقومى من الديار وجئنا إليك ، لنعيش في كنفك وحمايتك .

فاصفر وجه عجيب ، وأزعجه اسم نصرّة وقال : وأين أمه نصرّة ؟ فقال : إنها معى .

فأمر بإحضارها ، فلما رآها عجيب وعرفها قال لها : وأين العبدان

اللدان كانا معك ؟

فقلت : تركاني في غابة سحيقة : وبقيت بها وحدي ، حتى وضعت ابني غريباً ، ورآنا الملك مرداس " فرحم غربتنا ووجدتنا وأخذنا معه ، ولا أدري من أمر العبدین شيئاً .

فسلّ عجيبٌ سيفه ، وشقها به نصفين ، وأمر أن تطرحَ في الحلاء طعاماً للوحش والطير ، وقال لمرداس : زوجني ابنتك مهدية ، فزوجه إياها ، ثم أمر لمرداس بثلاثين ألف دينار مهرًا لها . وكان هذا النبأ مثارًا للوساوس في نفسه .

أما غريبٌ فإنه سار هو وجنوده وأعوانه حتى أشرفوا على بلاد العراق ، فنزلوا بالقرب من الحيرة وكان ملكها يسمى الدامغ ، فأطل من قصره فرأى جنوداً من العجم لا حصرَ لهمُ نازلين بالقرب من مدينته ، فدعا إليه فارساً قوياً من فرسانه يسمى سبع القفار ، وقال له : امض إلى هؤلاء الجنود وهات أخبارهم وما يريدون ، ولترجع إلينا من فورك . فذهب إليهم سبع القفار . وقال لهم : إني رسولُ ملك هذه المدينة إلى قائدكم .

فساروا به إلى خيمة غريب واستأذنوا له ، فدخل عليه ، وحيا وقال : إني رسولُ الدامغ ملك هذه المدينة وأخى الملك كندمر صاحب أرض العراق ، فقال عجيبٌ في حزن أليم : اذهب إلى مولاك ، وبلغه أن صاحب هذه الجنود غريب بن الملك كندمر الذي قتله ابنه عجيب ، وقد جاء ليأخذ بثأر أبيه من أخيه ، فأسرع سبع القفار في العودة إلى

مولاه وقال : صاحب هذه الجنود ابنُ أخيك ، وحكى له ما سمع من غريب .

فقال لفارسه : أحق ما تقول ؟ !

فقال الفارس : نعم ! وما قلتُ إلا ما سمعت ! !
فركب الملكُ الدامغُ في حاشيته وذهب إلى ابن أخيه ، وهنا التقيا وتعارفا ، وفرح كل منهما بصاحبه ، ثم قال الدامغ :
إن في قلبي حسرةً من أخيك الغادر ، وما كنتُ لأستطيع أن في أحاربه ، لأنى ضعيفٌ لا أقدر على ملاقاته .

فقال غريب : ستقر عيذك إن شاء الله بأخذ ثأر أوى .

فقال عمه : إن لك عند أخيك ثأرين : ثأر أبوك وثأر أملك .

فقال غريب : وما بال أوى ؟

فقال عمه : قتلها عجيبٌ ، وقص عليه قصةَ مرداس وابنته ، وهجره أوطانه ، فثارت ثائرة عجيب وأمر بالرحيل ، فاستأذنه عمه أن يتمهل حتى يستعد ويسير معه ، فقال : نقد صبرى ، فهى أنت نفسك والحق بى .

شارف غريب وعسكره مدينةَ بابل ؛ فحط الرجال ، وضرب الخيام ، وأقاموا فيها ؛ وكتب غريبٌ إلى جملك كتاباً قال فيه : الحمد لله رب العالمين ، من غريب بن كندمر ملك العراق إلى جملك ملك بابل ؛ أما بعد . فإنى أدعوك إلى عبادة الله الواحد القهار ، رب السموات والأرض ، خالق كل شىء ، وهو على كل شىء قدير ، فإذا فرغت

من قراءة كتابي هذا فاترك عبادة الأصنام وأسلم تسلم ، وإن لم تفعل
فدونك القتال ، والسلامُ على من اتبع الهدى .

أغلق غريب الكتاب وختمه . وأعطاه قائداً من قواده ، وأمره أن
يحمّله إلى ملك بابل ، فأخذ القائد الكتاب . وأسرع به حتى وصل إلى
بابل ، واستأذن على ملكها : فأذن له فدخل عليه . وناوله الكتاب .
فقرأه ؛ فعقد الغضبُ على وجهه سحابةً سوداء ، ونظر إلى الرسول قائلاً :
بلغ صاحبك أن غداً موعد القتال ، وأذن له أن ينصرف . وأمر قواده
وجنوده أن يعسكروا خارج المدينة لقتال هؤلاء الغزاة المغيرين

وفي الصباح برز إلى الميدان غولُ الجبل طالباً من يبارزه وفي يده
شجرة كبيرةٌ يهزها كأنها رمحٌ أو سيفٌ وزادى على أبنائه أن يوقدوا النارَ
في الميدان ، فبرز إليه عملاقٌ من كفار بابل ، فضربه بالشجرة ضربة
هشمت عظامه ، وأوقعته قتيلاً ، وزادى غول الجبل عبيده وقال : خذوا
هذا العجل واشووه على النار التي أوقدتموها . واثبتوني بلحمه سريعاً ؛
ففعلوا وجعل يأكل لحمه حتى فرغ ، ورأى جيشُ جمك ما فعله غولُ
الجبل ، ففزع وأحجم ، وحملوا أسلحتهم وفروا إلى المدينة هاربين ،
وتبعهم جيشُ غريب ، فدخلوا المدينة ، وأعملوا سيوفهم فيها ، وأمسك غولُ
الجبلُ تموداً من الحديد وضرب به قصر الملك ضربةً هدمت بناءه ،
فصاح الجنودُ وقالوا : الأمان الأمان ، فأمرهم رجالُ غريب أن يكتفوا
بملكهم ويحملوه إلى غريب في خيمته ، ففعلوا ووقف القتال .

ولما كان جمك أمام غريب وسمع غول الجبل يقول : سيكون هذا

الملك طعاماً لعشائى ، استغاث بغريب أن يجيره ، فقال غريب له :
 إن أسلمت سلمت من هذا الغول ، وحقنت دملك . فأسلم جملك ونجى
 نفسه من هلاك محتوم ، وأخلى غريب سبيله ، فذهب إلى مدينته
 وعرض على قومه دين التوحيد فشرح الله صدورهم إليه وصاروا أعوان
 غريب وأنصاره . ثم رحلوا إلى مدينة أخرى فآلفوها خالية من أهلها .
 وذلك أنهم سمعوا عن غريب وجيشه فهربوا منها وأخبروا عجيباً ما فعله
 أخوه فى مدينة بابل : وأنه قادم إليه ليقاتله . فجمع عجيب ألفاً مؤلفة
 من الفرسان ، تأكل الرطب واليابس ، لأن الخوف من أخيه يملأ صدره ،
 ورؤياه فى منامه بعد ذبحه أباه لا تزال وساوسها تشغل باله . وضربوا
 خيامهم خارج المدينة يرتقبون الجيش القادم .

نزل غريب وجيشه أمام جيش أخيه : ثم كتب إليه كتاباً :
 وبعث به أخاه سهم الليل . فقرأه عجيب فإذا فيه : من غريب بن كندمر
 إلى عجيب أخيه ، أما بعد . فقد جئتك لأدعوك إلى عبادة الله وحده .
 فإن آمنت عصمت نفسك وكنت أخى والحاكم فىنا ، وغفرت لك ذنب
 أبى وأمى . وإن لم تؤمن قتلتك ومسحت ممالك ، فاختر لنفسك ما يروقك .
 والسلام على من آمن بالله واتبع هداه . فلما فرغ من قراءته مزقه ورماه
 فى وجه سهم ، فغضب سهم وقال : شئت يدك . وأفل نجمك ، وشالت
 نعماتك . فأمر عجيب حراسه أن يقتلوه ، فجرد سهم سيفه ونزل فيهم
 نزول الصاعقة . فقتل منهم خمسين فارساً ، ومرق من بينهم مروق
 السهم حتى كان بين يدي أخيه . فرآه ملطخاً بالدماء وسأله ما باله ؟

فقص عليه ما جرى ، فقال : جحد بالنذر . وأعرض واستكبر ، فحق عليه العذاب الأكبر .

وفي الموعد المضروب أذن مؤذن الحرب فدارت رحاها . واستعر لظاها . وأطبق أوارها ، فتطايرت الرؤوس ، وتخطفت المنايا النفوس ، وتهاوت الأبدان ، وسالت الدماء في الوديان . ودامت الحرب على أشدها يومين لا تهجع السيوف فيهما إلا مدة الليل .

وفي ليلة اليوم الثالث اختار عجيب من أعوانه رجلاً ذكياً محتلاً ماهرأ يسمى سياراً ، وقال له : إني ادخرتك لمثل هذه الشدة ، وما أريد منك إلا أن تسخر محالك لتسرق غريباً أخى وتأتيني به . فقال ستجده لديك حاضراً . وانفلت مستخفياً متكرراً في زى الخدم والعبيد ، حتى كان بين الخدم المحيطين بخيمة غريب : واضطجع معهم للنوم . ولكنه تناوم ولم تذق عينه للنعاس طعماً . ولما قلق غريب في أثناء الليل أحس عطشاً شديداً فطلب كوز ماء . فأسرع سياراً وأحضره بعد أن وضع فيه بعضاً من البنج . وما انتهى غريب من شربه حتى أخذته غيبوبة عميقة . فلفه في رداء وحمله وانسل به إلى عجيب ، ووضع بين يديه وقال : هذا أخوك غريب . وأنشقه سيار خلاً فأفاق ووجد نفسه مكتفياً أمام أخيه عجيب . فنظر إليه في سخرية وشماته وقال : أضلك الغرور فجئت تطلب ثأر أبيك وأملك . وسألحكك بهما . فمن يطاب ثأرك وثأرهما ؟ ! فقال غريب : إن الله هو القاهر فوق عباده وهو العزيز الحكيم . وإني أدعوك ثانية إلى الإيمان به لتسلم وتنجو ، فإن أبيت

فإن مصيرك إلى النار وبئس القرار ، وما أنا بخائف من سيفك فإن ربى الله ، وما الله بغافل عما يعملُ الظالمون . فضحك عجباً مستلقياً وقال : سأريك الآن وربك ، ثم أمر أن يحضر السياف والنطع ، فنهض وزير له عاقل مجرب وقال : لا تعجل بقتله حتى يتبين الغالب من المغلوب ، فإن غلبنا فهو في قبضتنا نقتله متى شئنا . وإن غلبنا نفعنا استحياءه وبقاؤه ، فاستحياه وأبقاه مقيداً في خيمته .

هب جيشٌ غريب في بكرة اليوم الثالث ، وتفقدوا غريباً فلم يجدوه ، فخشى غولُ الجبل أن يدب الخور في نفوسهم ، ونادى فيهم أن يخوضوا غمرات القتال صابرين متوكلين على ربهم ، وسبقهم إلى الميدان داعياً من يبارزه . فتقدم إليه فارسٌ من الأعداء . فضربه بالعمود ضربةً أوقعته على الأرض صريعاً وأمر عبيده فشؤوا لحمه وأكله ، ففرع جيشٌ عجب واضطرب . وخاف هو أن يتسرب إليهم الضعف والانحلال فصاح فيهم أن احملاوا على هذا الغول ومزقوه . فانها لوا عليه من كل ناحية وكثرت عليه أطراف الأسلحة فأصابته بجروح كثيرة ، ورأى جيشٌ غريب ذلك فهجموا . واشتعلت نيرانُ الحرب حتى آخر النهار ، ثم رجعت كل طائفة إلى خيامها يرتقبون الصباح . وكانت الهزيمة قد بانَتْ في جيش غريب ، وأسر غولُ الجبل وسيق مكتفياً إلى غريب وحبس معه فلما رآه داخلًا عليه قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم إنا أخلصنا لك الدين . فانصرنا على القوم الكافرين .

وقال غول الجبل : لا تحزن إن الله معنا ، وإن بعد العسر يسراً .

وقام سهيم في جيش أخيه وقال : لا يفتن في غضبك ما لقيتم اليوم من هزيمة ، فما هو إلا بلاء يمتحن الله به قلوبكم ، فاصبروا وصابروا ، فإن الله مع الصابرين . ثم انتظر سهيم إلى منتصف الليل ودخل في جيش عجيب مستخفياً في هيئة عبد من عبيده فوجد عجيباً جالساً في حاشيته ، ودخل إلى شموعهم الموقدة كأنه يصلحها ووضع عليها شيئاً من البنج وخرج إلى الخيمة التي بها أخوه وغول الليل فوجد الحراس قد أخذهم النعاس فقال لهم : ويلكم أيها الحراس . قوموا وأوقدوا المشاعل واحرسوا المسجونين ، ثم أوقد هو مشعلاً ووضع فيه شيئاً من البنج ودار به حول الخيمة ثم وضعه بين الحراس وذهب بعيداً ، حتى خدروا وفقدوا الحس والحركة ، فدخل على أخيه وغول الجبل وفك رباطهما وأمرهما أن يتسللا إلى معسكرهما فوراً ، ثم ذهب إلى عجيب وحاشيته فوجد البنج الذي وضعه في الشموع قد أغرقهم في غيبوبة ثقيلة ، فوضع عجيباً في رداء وحمله إلى معسكر أخيه ، ووضع بين يديه في خيمته وقال هذا أخوك عجيب ، فأمر أن يوقظه . فأنشقه الحل حتى أفاق ووجد نفسه مكتئباً بين يدي أخيه غريب . فأطرق خاسئاً أسفاً . فقال أخوه غريب : جردوه من ثيابه واضربوه بالسياط حتى يذوق الهوان والبؤس . ولما فرغوا من تعذيبه كتفوه وقيده وحبسوه ، ثم سمعوا تهليلاً وتكبيراً في جيش عجيب . فتبينوه فإذا هو الدامغ عم غريب قدم بجيشه على أعقاب ابن أخيه وبلغه ما فعل عجيب بغريب من الأمر غيلة وغدراً فارتقب قدوم الليل بظلامه وحمل بجيشه على أعداء ابن أخيه مهللين مكبرين فأمر غريب جنده

أن يهجموا على الأعداء مناصرين عمه الذى حضر لمعاونته ، ودامت الحربُ حامية مهلكة ، وانجلتُ فى الصباح عنْ هزيمة عجيب وجيشه هزيمة نكراء ، ولقى غريبٌ عمه الدامغ فتبادلا التهنئة بالنصر والفوز ، وقال لابن أخيه : لعل اللئيمَ الحبيثَ قتلَ فى هذه المعركة ! فقال غريب : إنه محبوسٌ عندي . فتعال نذهبُ إليه . وكان ألمُ غريب شديداً حين رَجَعَ إليه ولم يجدْه . وذلك أن سياراً انتَهزَ فرصةَ ركوب غريب بالليل ليساعدَ عمهُ وتسَلَّلَ إلى ملكه عجيب وسرقه . وجعلَ يمشى به فى الخلاء ليعدَّ به عن موطن الظن إذا ما نشرَ أعداؤه للبحث عنه . وجدا فى السير حتى بعدا وجلسا تحت شجرة تفاح بجوارها ماء ، فأكلا من ثمارها وشربا من ماءها . ثم تركَ سيارَ مليكه عجيباً وغابَ عنهُ مدة من الزمن . ثم رَجَعَ إليه ومعهُ جوادٌ سرقه من قبيلةٍ عثر بها فى طريقه . فأركبه الجوادَ . وسارَ به إلى عاصمةٍ ملكه وحكمه . وهناك أمرَ الأطباء أن يداووه . فشفي من ضعفه وآثار السوط فى جسمه بعد عشرة أيام . وكتبَ إلى نوابه بالمداين أن يحضروا إليه استعداداً لقتال أخيه وإبادة جيشه .

أخذ سهِمُ الليلَ يبحثُ عن عجيب . وذهب إلى العاصمة ظناً منه أنه هربَ إليها ، فعلم كل ما فعله ونقله إلى أخيه وعمه الدامغ : فأمر غريبُ جيشه بالرحيل إلى العاصمة لقتال أخيه عندها . واستمر سائراً حتى ضربَ خيامه عند العاصمة أمام جيش أخيه الذى أعده . ثم بدأت الحرب ، وأبلى فيها جنودُ غريب ، والدامغ بلاءً حسناً . واشتدت وطأتهم على

جيوش عجيب . وأهلكوا منهم كثيرين . ففخروا إلى البیداء هاربين ،
وهرب عجيبٌ معهمُ وفتحت المدينةُ أبوابها للغازين . فأذن غريب
فيهم : أن احتنوا دماءكم واحموا أنفسكم بالدخول في الدين الجديد
فأبى أهلُ المدينة دعوته وآمنوا جميعاً . وجلس غريبٌ على عرش أبيه .
وتقدم إليه الكبراءُ والوزراءُ والتأدة مسلمين طائعين ، ثم أمر بالبحث
عن عجيب فلم يجده ، وسأل عن مرداس وابنته فقبل إنه خاف وهرب
إلى الجبل الأحمر ، فأرسل إليه ابنه سهم الليل فلم يجده . ولكنه وجد
شيخاً كبيراً فسأله عنه فقال : كان مقيماً هنا . ولما سمع أن عاصمة عجيب
سقطت في يد غريب رحل خائفاً ، وسار في تلك البراري إلى حيث
لا أعلم له سبيلاً . ولم يسكت غريبٌ عن طلب عجيب أخيه فأرسل
الجواسيس في كل مكان للبحث عنه إلى أن يجده .

٦

خرج غريبٌ للصيد ومعه مائة فارس . وأعجبهم واد فيه
زرعٌ وماءٌ ، فباتوا فيه ، وفي الصباح سمعوا جلبةً تتجاوبُ أصداؤها
في جنبات الوادي ، فركب سهمُ الليل بجواده ومرت كأنه السهمُ إلى
مبعثها . فعلم أن الحمرقان وأعوانه قتلوا مرداساً ونهبوا أموال حيه وسبوا
أهله نساءً وأولاداً ، وتركوا الحي ينعي قومه ، وهم بفرحهم يتصايحون .
لم يطق غريبٌ صبراً بعد أن جاءه سهمُ الليل نبأ قتل مرداس أبيه ،

فزحفَ بفُرسانه على الجمرقان ومنَّ معه . وأبى إلا أن يبارزه الجمرقان ؛
وكان قوياً مهيباً . وفارساً عنيداً .

برز الجمرقان إلى غريب وهو على يقين أنه قاتلهُ أو أسره في طرفة
عين : وغفلَ عن القدر . وأنَّ يد الله فوق يده . وأنه قابضٌ على
ناصيته . فما كادا ياتحمان حتى صرعهُ غريبٌ ؛ وساقه أسيراً إلى جماعته ؛
وهجم قوم الجمرقان على فرسان غريب يستخلصونه من أيديهم ، فما
وجدوا إلا قتلاً وتشريداً وفر من سلم منهم إلى ديارهم ، ينشرون فيها
نبا هزيمتهم ، وأسر الجمرقان سيدهم .

وأحضر غريبُ الجمرقان مقيداً بين يديه . وسأله : منْ إلهك ؟
فقال الجمرقان : إلهي من عجوة وسمن وعسل . وربما أكلته
وصنعتُ غيره .

فضحك غريبٌ حتى بدت نواجذه . ثم قال : ما أسفه أحلامكم !!
أتعبدُ منْ بيدك صنعتهُ . وإذا جمعت أكلته . ثم تقطع السبيلَ على
عباد رب العالمين ؟ ! !

فقال : ومنْ رب العالمين ؟ ! وأين يكون ؟ !

فقال غريب : رب السموات والأرض . ورب كل شيء ؛ لا
تدركه الأبصار . وهو يدركُ الأبصارَ . وهو اللطيفُ الخبير . آمنا به ،
وصدقنا برسائه ، فأبدنا بنصره ، وثبت أقدامنا في كل معصية . فهو الذي
يعز من يشاء . ويذل من يشاء . بيده الخير . وهو على كل شيء
قدير .

فوجل قلبُ الحمرقان . وأضاءَ بنور من صدق ما سمع ، وأبدى
رغبته في عبادة رب العالمين . فقال له غريب :
قل : آمنت بالله وحده .

فلما قالها أمر بنك قيوده . وجلس بينهم في عصمة من إيمانه
وكأنه أحدهم .

وتردد في أسماعهم حينئذ جلبةُ فرسان قادمين . فانفالت سبهم الليل
إليها ، ثم رجع إليهم بخبرها فقال : قومُ الحمرقان آتون للحرب
واستخلاصه .

فقال غريب : اذهب يا جمرقان إليهم . وادعهم إلى الإيمان .
ليعصموا منا دماءهم وأموالهم . فإن أبوا أذقناهم لباس الخوف والفناء .
فلما ذهب إليهم ماجوا فرحاً بانثائه ، وهنأوه بسلامته . وشكرهم
على وفائهم وحكى لهم قصة الدين الجديد ، ثم قال : من تبعني فإنه
مني ، ومن عصاني فلا يلاؤني إلا نفسه . فقالوا : لا نكون إلا معك
ومنك وإليك . وقد آمنا بالله وحده . فسر بنا إلى حيث تشاء .

قدم الحمرقان بهم إلى غريب . وجددوا أمامه إيمانهم ، فقال لهم :
ربحت تجارتكم . وفاز سعيكم ، فارجعوا إلى أحيائكم وانشروا
الإيمان بين ربوعها . فقالوا :

لا نفارق صحبتك . وسنرجع إلى الديار ونأتي بأهلنا وأموالنا إليك .
فقال غريب : اصحبهم يا جمرقان إلى الأحياء . ثم اسبقني بهم
وبمن معهم إلى العاصمة ، ففعلوا ما أمروا به . وأكرم مشواهم في العاصمة ،

وجعل الحمرقان قائد جيش من قوته .

ولما رجع غريب إلى العاصمة وجد العيون والحواسيس الذين بعثهم من وراء أخيه فأخبروه أنه عند الجلندر بن كركر صاحب مدينة عمان وأرض اليمن ، فجعل عمه الدامغ نائباً عنه في العراق . وخرج هو في ثلاثين ألف فارس إلى عمان وأرض اليمن .

كان الجلندر زوجاً لابنة عم عجيب . فلما قدم عليه هو وجماعته في بؤس الهزيمة . ومذلة الطرد والحرب — حكى له ما أصابه من غريب أخيه وقال : إنه يبطل عبادة الأصنام والأوثان ويدعو إلى الإيمان والتوحيد . فقال الجلندر : سأبطل بسيفي دعوته ، وأشتت شمله ، وأمر وزيره جوادرد أن يسير إليه في سبعين ألف فارس . وأن يرجعوا بغريب وأتباعه أسرى ليذيقهم ألوان العذاب قبل أن يستقيم كئوس الموت . فصعد الوزير بأمره . وركب هو وجيشه الطريق إلى غريب .

وبعد مسيرة أيام سبعة كان هو وجيشه في واد طاب هواؤه ، وازدانت أرضه بأشجاره ودياهه . فعدا بجواده . وسبقهم بالمسير فيه وحده ، وكان الحمرقان قد سبق جيشه إلى هذا الوادي ، فلقى وزير الجلندر سائراً فقال له : قف يا شيخ العرب . من أنت ؟ وإلى أين تذهب ؟

فقال : أنا جوادرد وزير الجلندر بن كركر صاحب عمان وأرض اليمن . ومن خلفي جيش عدته سبعون ألفاً . ونحن ذاهبون إلى غريب لنعود به وبأتباعه مكنتين .

فقال الحمرقان : ولكن غريباً ذو دين قويم وسطوة تخشى .
فقال : مهما تكن قوته فلن يهمني أمره .

فقال الحمرقان : ولكن غريباً أميرى وسيفى فى طاعته .

فقال : حينئذ فأنت أول أسير أو قتيل . فهجم عليه الحمرقان
وشقه بسيفه نصفين . ثم انقلب إلى جيشه وأخبرهم بما فعل وبقدوم أتباع
الوزير لقتلهم : ثم جعلهم فرقاً من حول الوادى . وقال لهم : إذا توسط
جيشُ الجلندر الوادى . فانقضوا عليهم من كل ناحية صائحين : الله
أكبر معلنين فيهم قتلَ جوامرد قائدهم .

ابتلع الوادى جيشُ الجلندر . وانقض عليهم جيشُ الحمرقان
من كل ناحية : فكانوا كاللقمة فى الفم . تطحنها الأضراسُ ويلوكها
الإنسان . وقتلوا منهم كثيراً . وأسروا منهم ألفاً أو يزيدون ، فدخلوا فى
الدين الحديد . فأكرم الحمرقان أسرهم . ونجا منهم من لاذ بالفرار
وأخرب . وأرسل الحمرقان الأسرى إلى غريب بعاصمة ملكه ، فاغتنبط ،
وحمد ربه . ولبث غولُ الجبل ومعه عشرون ألفاً ليدركوا الحمرقان ،
وينضموا إليه يتقاتلون معه .

وصلَ الخاربون إلى الجلندر . وعرف منهم أنهم غلبوا على كثرة
عددهم وقلة أعدائهم : فثار ثورة المجنون وأمر بضرب أعناق الهاربين ،
وكانوا جميعهم ضحية ثورته الحمقاء . ثم نادى ابنه القورجان وأمره
أن يقود مائة ألف فارس إلى العراق . ليجعله خراباً ، ويتركه سكناً
للجوم والغربان .

وبعد اثني عشر يوماً من مسير القورجان وجيشه رأوا غبار جيش من بعيد قادم إليهم . فبعث إليهم من يتبينهم فقبل له : جيش من العراق . وعلى رأسه الحمرقان الذ قتل الوزير وهزم جيشه .

ترأى الجيشان فنزل كل في مكانه وضربوا خيامهم واستعدوا للقتال ، وأرسل الحمرقان جواسيسه إلى جيش القورجان ليقف على خططهم ، فسمعه يقول : إذا جاء الثلث الأخير من الليل فابغتوا هذه الشرذمة القليلة من أهل العراق ودوسوهم بخيلكم ؛ فنقلوا هذه الخطة إلى الحمرقان ، فقال لأبطاله وقواده : إذا أقبل الليل ونام الأعداء ، فابغتوهم بخيلكم وأسلحتكم في مضاجعهم . فإذا هبوا من نومهم ، وبلأوا إلى أسلحتهم ، فاتركوهم يضرب بعضهم بعضاً .

وفي ضوء الصباح وجد القورجان وجيشه يأكل بعضه بعضاً ، ووجدوا أهل العراق على خيولهم يرتقبون فناءهم بأيديهم وأسلحتهم ، فوقف القتال ، وأسفوا على من قتل منهم . وكان يناهز ثلثهم ، وعلموا أن العراقيين كانوا أعظم مكرًا وتدبيراً .

وأرادوا أن يهجموا على الحمرقان . ولكنهم رأوا غيرة تنبيء عن جيش مقبل ، فانتظروا حتى يبين لهم أمره .

كان القادمون مدداً من العراق يقوده غول الجبل ، فانضموا إلى جيش الحمرقان . وأوقدوا نيران حرب صلى أعدائهم سعيها ، ولولا أن النهار قد انتهى وذهبت كل طائفة إلى مستقرها لقضت عليهم فناء وهرباً .

وفي الغد برزَ الجورقانَ إلى الميدانِ وَصَدْرُهُ يَغْلِي غِيظًا مِمَّا أَصَابَ جيشه في أمسه ، ونادى من يبارزه من جيش العراقيين ، فتسابق إلى مبارزته الأبطالُ طامعين أن يقتلوه ليولى جيشه الأدبار ، ولكنه أسر سبعةً منهم تبعاً ، ولكن الجمرقان برز إليه وثأر لهؤلاء السبعة بأسره وسبيه ، فثارت الحمية في صدور أتباعه وجنوده ، وهجموا على العراقيين بخيلهم وأسلحتهم هجمةً ينتظرونَ من وراءها خلاصه وعودته ، ولكن أين هؤلاء الذين يحرسون في القتال على حياتهم والنجاة بأبدانهم من هؤلاء الذين يحرسون على الموت والفوز بإحدى الحسينيين ، كرامة الدنيا أو سعادة الآخرة ، فمزقهم المؤمنون شر ممزق ، وفروا من وجوههم مخلفين ورآءهم مغنم كثيرة ، كانت للمؤمنين رخاء وغنى .

ودعا الجمرقانُ الجورقانَ بنَ الجَلندر إلى التوحيد فأعرض في إباء ساخر ، فذبحه الجمرقان ونفضَ يديه من الانشغال به ، ثم جمع الجموع وقادهم إلى مدينة عُمان .

كان الهاربون قد سبقوه إلى الجَلندر وبلغوه نبأ هزيمتهم المنكرة وقتل ابنه ، فنزل عليه النبأ نزول الصاعقة ، والتفت إلى عجيب غاضباً وقال : ذلك ما أفدته من قدومك المشئوم ، وطلعتك المظلمة ، ولئن لم أنتصر على هؤلاء الأعداء لأصلبئك في جذوع الشجر ، ولأقتلك شر قتلة . إذ كنت سبباً لهذه المحنة التي خسرت فيها ابني وجنودي .

فاغتم عجيبٌ ، ولبث خائفاً على نفسه ، يترقبُ فرصةً للفرار والهرب ، ولما جاء الليلُ خلا بأتباعه وقال لهم :

إن الجلندر ذاب قلبه . وانحل ثباته . واصفر وجهه . حينما رأى جيوش العراق ، وبماؤنا عتده متلفعة لأنفسنا ومهلكة . والاستعانة بالعاجز حمق وجهالة . فعلينا أن نتسلل في ظلام تلك الليلة هاربين إلى آل يعرب ابن قحطان فهم أشد قوة وأكثر جنداً . فأطاعوا رأيه . ولانوا بالظلام هرباً .

وكان الجلندر قد أمر بتعبئة الجنود من كل صوب وناحية ، فاجتمع لديه عدد كثير وهم أن يرحل بهم ، ولكنه وجد جنود العراق قد عسكروا قريباً من المدينة . وباتوا الليلة التي أعقبت قايومهم . وفي الصباح كان سعدان الغول في ميدان القتال طالباً مبارزة من أراد الخروج من دنياه . فطمع فيه بطل من أبطال الجلندر فقتله سعدان الغول . وأمر أن يشوى لحمه . ثم أكله . وجيش الجلندر في دهشة من هذا الفارس الذي يشوى لحم فارس ويأكله . ورغب فرسان الجلندر أن يتسابقوا إلى قتل هذا الغول الإنسانى لينالوا فخر قتله . ولكنهم كانوا يتسابقون إلى الموت . وبلغ عددهم ثلاثين ، ولم ينحسر واحد من الفرسان بعد ذلك أن يخطو خطوة إلى لقاء سعدان الغول . فأمر الجلندر جيشه بالهجوم العام على سعدان وجيشه .

التحم الفريقان وثقات وطأة الحرب على الكافرين . ولكن السهام تكاثرت وتزاحمت ، وتكسر بعضها على بعض في جسم حصان سعدان الغول ، فوقع صريعاً . وسقط سعدان من فوقه . وانهاه الأعداء عليه ، فأخذوه أسيراً ، ثم فصل الطائفتين بعضهما عن بعض قدوم الظلام ،

وبات جيش الحميرقان حزيناً على سعدان الغول . أما الجلندر فإنه فرح بأسره فأحضره بين يديه وقال : يا كلب العرب . يا حمال الخطب ، من قتل ابني ؟

فقال : قتله الحميرقان . وأنا شويت لحمه وأكلته ؛ فاغتاز وأمر أن يضرب عنقه .

ولما أقبل عليه السياف تمطى في رباطه فقطعه : وخطف السياف من يد السياف وأطار به رأسه . فرأى الجلندر ذلك فهرب . واتفلت سعدان كأنه قضاء نزل . فجعل يقتل من يجده في طريقه يحاول تعويقه حتى مرق من بين جموعهم وخيامهم . وسجع العراقيون حركة وجلبة في جيش اليمن فظنوا أن مدداً جاءهم . وارتقبوا مصير هذه الجلية وهم في حذر وحيطه . وإذا سعدان الغول مقبل عليهم . فأذهب حزنهم وأشرفت بالفرح ويتوهمهم . وقص عليهم نياً عودته فائزاً . وبات الجلندر بين الغيظ من إفلاته . والفرح بسلامته من يده . وحضر إلى جيش العراقيين في هذه الليلة غريب على رأس مدد لا يستهان به . فأرسل إلى الجلندر كتاباً قال فيه :

إني أدعوك إلى الإيمان بالله وحده وترك عبادة الكواكب التي هي خلق من خلق الله القادر المقتدر . وأمرُك أن ترسل إلينا عجيباً الغادر الخائن . وإلا فقد حق عليك وعلى قومك وديارك الهلاك والتدمير .

فلما قرأ الكتاب قال لسهم الليل الذي جاءه به : بلغ أخاك أن عجيباً وأتباعه هربوا في جنح الظلام . ولا نعلم أين ذهبوا ، وبلغه

أنى لنّ أصبأ عن دينى ودين آبائى ، وغدا يفصلُ الحسام بيننا .
 وفى الصباح كان الجيشان كالبحرين يلتقيان باغيين ، حتى غربت
 الشمس ، فسكن كل فريق فى مستقره ومنزله . وفى منتصف الليل
 تنكر سهمٌ وذهب إلى خيمة الجلندر ووضع أمام أنفه قطعة من البنج فشمها
 حتى نادر ، وأخذته غيبوبه ثقيلة ، ثم حمّله وتسلسل إلى جيشه ووضع
 أمام غريب أخيه ، وقال : هذا خصمك الجلندر ؛ وحكى له كيف
 أحضره .

ولما أفاق الجلندر من غيبوبه وجد نفسه بين يدى غريب وأعوانه ،
 فاعتذر إليه وقال :

ما أوقعنا فيما نحن فيه من العداوة والحرب إلا أخوك عجيبٌ ، وقد
 فعل بنا فعلته هذه وهرب إلى حيث لا نعلم له مذهباً ولا مستقراً .
 فأمر غريبٌ باعتقاله والمحافظة عليه إلى وقت آخر . أما الحمرقان فإنه
 أمر أتباعه أن يأخذوا أسلحتهم ويسترقوا الخطا إلى أن يحيطوا بالأعداء وهم
 نيامٌ ، فإذا سمعوا تكبيره ، ردّوا التكبير فى أصوات عالية تملأ
 الوادى ، فإذا صحا الأعداء ظنوا أن سيوفنا تعمل فيهم ، فقاموا إلى
 سيوفهم وجعل يضرب بعضهم بعضاً ، وحينئذ لا يأتى الصباح حتى
 يكونوا قد أهلك بعضهم بعضاً .

قال الحمرقان لأتباعه ، فإذا ماج جيشُ الأعداء واضطربوا
 وتضاربوا بالسيوف تحت قبة الظلام ، فلنذهب نحن إلى المدينة ونملكها
 ونقف على أبوابها ، وإذا أشرقت الشمسُ وهجم جيشنا عليهم وفروا من

وجوههم إلى المدينة طردناهم بسيوفنا ، وإذ ذاك لا يجدون منجاةً إلا أن يتفرقوا هاربين في الصحراء ، وبذلك نقضى عليهم ونمتلك مدينتهم . وكذلك فعلوا وامتلكوا المدينة ، وأعجب غريبٌ بتدبير الجمرقان وخطته ، فجعله حاكماً لها . أما الجلندرفان غريباً عرض عليه الإيمان ليحقن دمه ، فأعرض ونأى بجانبه ، وكان مصيره الموت الأليم .

٧

وأقاموا في المدينة عشرة أيام رأى غريبٌ بعدها في منامه كأنه في واد فسيح فانقض طائران جارحان لم ير أضخم منهما ، ففزع منهما ثم انتبه ، فقص رؤياه على سقيم أخيه فقال له : عدوقى يطلببك فاحذره . وأحس غريبٌ في الصباح ضيقاً في صدره ، وحدةً في مزاجه ، فرغب أن يسير في الخلاء ليروح عن نفسه ، وأبى أن يصحبه أحدٌ غير أخيه سقيم ، وانتهى بهما السير إلى واد كثير الأشجار والأطيار ، فجلسا تحت شجرة من أشجاره ، ثم اضطجعا ليستكما راحتهما ، فغلبهما النعاس وناما ، فجاءهما ماردان : أحدهما رأسه رأس كلب ، والآخر رأسه رأس قرد ، وطال جسمهما كأنه النخلة ، يكسوه شعرٌ كشعر أذنان الخيل ؛ ولهما مخالبٌ كأنها مخالب الأسد ، فحمل أحدهما غريباً ، وحمل الآخر سقيماً ، وطارا بهما وارتفعا حتى كانا فوق السحاب ، ولما استيقظا من نومهما وجدا أنفسهما في الجو على كاهلي

هذين الماردین . فقالا :

لا حول ولا قوة إلا بالله العلی العظيم .

وبيانُ هذا الخطف أن مرعشا - ملك من ملوك الجن - أحب صاعقُ ابنه جنية تسمى نجمة . وكان صاعق ونجمة على شجرة من أشجار الوادی فی صورة طائرین . فضر بهما سهم وغریب بسهم فجرح صاعق . فحملته نجمة وطارَتْ به ووضعته أمام قصر أبيه . فنقله الخدمُ إليه فحزن وسأله : من فعل بك هذا يا صاعق ؟ فقال : رجلان بوادی العیون . ثم شهِق شهقة مات على أثرها : فأمر الملك مرعش الجن أن یأتوا إليه بكل من یجدونه فی وادی العیون . فأحضر الماردان غریباً وسهمياً إليه . فوجداه ضخم الجثة فارع الطول . له أربعة رؤوس مختلفة : رأس أسد . ورأس فیل . ورأس نمر . ورأس ذئب . فقال لهما : قتلما ابني . وأحرقتما كبدي !!

فقال غریب : والله الذی لا إله إلا هو . رب السموات والأرض ورب كل شيء . ما رأینا إنساناً بعد خروجنا من المدينة . فقال : كان فی صورة طیر على شجرة بوادی العیون فرمیتما بسهم قتله .

فقال غریب : إن بالوادی طیوراً لا حصر لها . وصيدها مباح لمن یرید . وكيف نعرف أنه طیر أو غیر طیر ؟ ما ذا بیننا وبين ابنك حتی نقتله ؟ ! وهل تعقل أن نقتل أحداً فی مكان ثم نطمئن على أنفسنا وننام فيه ؟ !



غريب وسهم أمام مرعش ملك الجان

فقال لأعوانه وخدمته : اثبتوني بربتي وإلحى .
 فأتوه بتنور أشعلوا فيه ناراً ذات لب أخضر فأزرق وأصفر ، فسجد
 لها الملك وجميع الحاضرين إلا غريباً وسهيداً فإيهما جعلاً يذكرا الله ،
 فلما رفعوا من السجود رعوهم قال الملك : لم لا تسجدان ؟ !
 فقال غريب : إنما السجود لله رب العالمين ، ربكم ورب آبائكم الأولين .
 فغضب الملك وقال لأعوانه : ألقوهما في النار ، وكانوا أمام القصر .
 فسقطت شرفة من شرف القصر على التنور فأطفأت ناره . فقال الملك :
 إنكما ساحران وأطفأتما النار بسحركما .

فقال غريب : ما بنا من سحر ، ولكن الشيطان أضلكما عن
 سبيل الله فعبدتم ناراً لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا .
 فغضب الملك وقال : سألقيكما في النار لتعرفا مالها من ضرر وأذى .
 وأمر الخدم أن يوقدوا ناراً حامية ، ويلقوهما فيها . فجمعوا حطباً
 كثيراً ، وأشعلوا فيه النار ، ولكن الله أرسل عليهم سحابة أمطرهم ماءً
 دافقاً كأنه من أفواه القرب ، فأطفأت نارهم ، فخاف الملك ، ونحلا في
 القصر برجال حاشيته ، وقال لهم : ماذا ترون في هذين الرجلين ؟ !
 فقالوا : يبدو لنا أن الله الذى يعبدونه حق ، وأن عبادتنا للنار
 "بطلان" وضلال .

قال الملك : حينئذ أصبح من الحق أن نعبد الله الذى يعبده هذان
 الرجلان .

قالوا : إنه الحق المبين ، وإن آمنت به فنحن به مؤمنون .

فأمر الملك بإحضار غريب وسهيم . وأجلسهما ، وقال : لقد
 آمنا بربكم . فماذا نقولُ حتى نكون على دينكم ؟ !
 قال غريب : قولوا آمنا بالله الواحد القهار . فقوالوها جميعهم .
 وأعلن الملك سروره بهما إذ أرشدهم إلى دين الحق وإلى صراط مستقيم .
 اطمأن غريبٌ وحكى للملك الجنب قصة عجيب أخيه وقال : وإني
 نحائفٌ على قومي وجندي .

فقال الملك : استرح أنت وسأبعث من يأتياك بخبر قومك وجندك ،
 ثم دعا بماردين : كُهما الكيليجان والقورجان . وأمرهما أن يذهبا إلى اليمن
 ويأتياه بخبر قوم غريب وجنده . فطارا إلى حيث أمر الملك .
 أما جنودُ غريب فقد عرف كبرائهم من خدمه أنه خرج في
 السَّحَر هو وسهيم أخوه ولم يرجعا ، فبعثوا من خلفهم من يقتنون آثارهم ،
 فوجدوا في وادي العيون بجواديهما . ولم يعثروا فيه عليهما . ورجعوا بهذا
 الخبر إلى كبراء الجيش . فساورهم الخوف عليهما ، ونشروا العيون
 والجواسيس في كل مكان وفي كل حي للبحث عنهما والوقوف على خبرهما .
 وبلغ عجباً نبأ فقد غريب أخيه . فاستبشر وظن أن الدنيا أقبلت
 عليه بعد إدارها ، وأشار على آل يعرب بن قحطان الذين أجاروه أن يمدوه
 بجيش من عندهم ليغزو جند أخيه بمدينة عمان في هذا الوقت الذي
 فقدوه فيه ولم يعرفوا له خبراً .

قاد عجيبٌ مائتي ألف مقاتل إلى مدينة عمان . وهناك أوقد نار
 حرب أبلى فيها المؤمنون بلاءً حسناً ، واكنه أرغمهم على الاعتصام

بالمدينة . فحصرهم فيها : يرتقبون من الله المعونة والخلاص من تلك الضائقة .

وجد الماردان جنود غريب محصورين في مدينة عمان ووجدا أعداءهم مُحيطين بها إحاطة السوار بالمعصم ، فأعملا فيهم السيف ، وآخما الكفار يتطاير الشرر من أفواههما وعيونهما ، وهما يصيحان بالتكبير والتهليل ، وأثهما من غلمان الملك غريب صديق مرعش ملك الجحان ، فظن الكفار أن الغفاريات أطبقت عليهم من كل مكان فأسرعوا بالهرب والفرار . وكان أولهم وأسبقهم عجيب : ولم ينج منهم بالهرب إلا خمسون ألف مقاتل . ثم دخل الماردان المدينة وأخبرا أهلها أن غريباً وأخاه سهياً ضيفان عند مرعش ملك الجحان وسيحضران إليكم قريباً ، أما أعداؤكم فقد أبلدناهم ولم ينج منهم بالهرب إلا قليل . ففرحوا بهزيمة أعدائهم والاطمئنان على ملكهم غريب وأخيه ، وفتحوا أبواب المدينة ، وأقاموا فيها آمنين .

ورجع الماردان إلى ملكهما وأخبراه بما فعلا فاطمأن غريب وأخوه وشكر لهما حسن صنيعهما . ثم عرض الملك على غريب أن يزور به أرضه ومدينة يافث بن نوح فرضى شاكرًا .

ركب الملكُ مرعشٌ وغريبٌ وسهمٌ ومعهم ألف مارد قاصدين مدينة يافث ، فاستقبلتهم بمظاهر الحفاوة والإجلال ، ووقف الملك مرعشٌ يُبطل في أذهانهم عبادة النار ويرغبهم في عبادة الله الواحد القهار ، فقال : من صفات الإله الحق القدرة التي لا يعجزها شيء

فى السموات ولا فى الأرض ، وقد وجدت النار لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ، فنحنُ نشعلها ونحن نطفئها متى شئنا ، ومن سفه الرأى أن نترك عبادة الإله القادر إلى عبادة شىء هو من صنع أيدينا ، وهو خلق من خلق ذلك الإله القادر المقتدر . وقد آمنت بالله الواحد ، وأدعوكم الآن إلى التوحيد وعبادة الله الذى لا تدركه الأبصار وهو يُدركُ الأبصار وهو اللطيفُ الخبيرُ ، فمن آمن فقد نجا من عذاب الله ، ونال رحمته ورضوانه ، ومن كفر وعصى فقد استحق اللعنة والطرده من جنة الله التى وسعت عباده المؤمنين . فوجدت هذه الدعوة مكان القبول من نفوسهم وآمنوا جميعهم .

دخل مرعشٌ وغريبٌ قصر يافث فوجد كرسى ملكه من المرمر ، رُبِطت أجزاؤه بقضبان من ذهب ، وفرش بالحرير المزخرف ، ودخل به دار السلاح فرأى غريبٌ سيفاً معلقاً فى وتد من ذهب ، فسأل مرعشاً : لمن هذا السيف ؟

فقال : هذا سيف يافث بن نُوح صنعهُ الحكيم جردوم ، وعليه نقوش سحرية : وأسماءٌ عظيمةٌ ، ويسمى الماحق ، لأنه ما نزل على شىء إلا محقهٌ . يخشاه الإنس والجن ، من أمسكه فهو فى قوة الجيش وأعظم .

فقال غريبٌ : هل لى أن آخذه وأنظر فيه ؟

فقال مرعش : نعم . لا أحد يمنعك .

فقد غريب يده وأخذه من مكانه فأعجبه ، وأبدى رغبته فى

الاستيلاء عليه لنفسه . فقال مرعش : إنه مرصودٌ على من يستطيع نزعهُ من مكانه . وقد حاول كثيرٌ مثلك أخذه فلم يستطيعوا . فحاول أن تأخذه فقد تكون الموعود به ، فتقدم غريب وقبض على السيف وجذبه فخرج في يده ، ففرح غريب بذلك وفرح الملك مرعش لفرحه ، وقال له : خذ ، فهو لك أعظم قوةً في مواقف الدعوة إلى دين الله . ثم طاف مرعش في أنحاء المدينة ونواحيها وبساتينها وأوديتها ، وعاد به عند المساء وباتوا في قصر يافث ، ثم استأذنه غريب أن يعود إلى قومه لأنه على قلق من أجلهم ، فقال مرعش : لا آذنُ لك إلا بعد شهر ، فقد كنت السبب في هدايتنا إلى دين التوحيد وعزته وخيراته ، ونحب أن تمكث فينا طويلاً . فرضى غريبُ شاكرًا .

مرض سهم وضعف وأحب أن يعود إلى مدينة عمان ، فأذن له ، وأمر الملك مرعش المردة أن تحمله وتحمل الهدايا التي أعدها لغريب ليأخذها معه عند سفره ، وكانت أعدالا مملوءة بأنواع الجواهر والذهب والفضة والماس والمسلك والعنبر والمنسوجات الحريرية وحلتين فاخرتين لغريب وأخيه ، وتاج مكلل بالدر والجواهر والماس لغريب ، فحمل المردة سهمًا ومعه هذه الهدايا وطاروا به إلى عمان . وكان غريب قد تهيأ للرحيل مع أخيه بعد انقضاء الشهر ولكن عوقه أمرٌ طارئٌ وجيش باغت من المردة عدته سبعون ألفاً . يقودهم ملكهم برقان .

كان برقان هذا صاحب مدينة العقيق وقصر الذهب ، وهو ابنُ عم الملك مرعش . يعبد النار هو وقومه ، ولما آمن مرعش وآمن معه قومه

كان من بينهم مارد أبطن الكفر وأظهر التوحيد ، ذهب خفية إلى برقان وحكى له قصة توحيدِه وتوحيد قومه فقال : لا بد من قتل ابن عمي مرعش وغريب الذي خدعه وغره حتى ترك عبادة النار .

سار برقانُ في سبعين ألفاً من المردة . ونصب خيامه في واد مشرف على مدينة ابن عمه مرعش ، ورأى مرعش هذه الجنود النازلة أمام مدينته . فعسكر هو أيضاً خارجها ، وأصر غريبٌ ألا يرحل حتى يقاتل مع مرعش إن كانت هناك حاجة إلى القتال ، ورضى بعودة أخيه سهم ومعه الهدايا لضعف أصاب جسمه .

بعث مرعش "مارداً من أعوانه إلى هؤلاء الجنود ليعرف من قائدهم وما يريدون ويرجع إليه سريعاً بما عرفه ، فقال له برقان : ارجع إلى سيدك وبلغه أن ابن عمه برقان أتى ليزوره .

فلما أخبر سيده مرعشاً بذلك قال لغريب : انتظرنى هنا حتى أذهب للقاء ابن عمي وأعود به إليكم . وكان برقان قد أمر أعوانه من المردة أن يكتفوا مرعشاً إذا لقيه واحتضنه .

ولقي برقان ابن عمه مرعشاً وهو يبتسم له ويبدي شوقه إليه . فلما سلم عليه واحتضنه انهمال عليه المردة وكتفوه ، فقال مرعش : ما هذا يا ابن عمي ؟ !

فقال له برقان : لأنك صبأت ودخلت في دين لا نعرفه . فقال مرعش : ما دخلت في دين التوحيد كرها ولا عن خديعة أو مخافة ، واكنى وجدته الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفه ، ولولا غريبٌ ملك العراق الذى هدانا لهذا الدين الحق للبشنا فى ضلالنا القديم .

فقال برقان : وأين غريب هذا ؟

قال مرعش : هو فى مدينتى وفى أرفع مكانة بين قوى الذين اتبعوه وذاقوا حلاوة دينهم الجديد .

فقال برقان : وما جئت إلا لأقتلك وأقتل غريباً معك ؛ ثم أمر أعوانه بحبسه فحبسوه .

وهرب غلام مرعش الذى كان معه إلى المدينة ، وبلغ الجنود وغريباً ما حصل له وما دار من الحديث بينه وبين ابن عمه ، فنادى غريبٌ فى الجنود أن استعدوا للحرب واطمئنوا فسأبيد أعداءكم بسيفى ، وأستخلص لكم ملككم مرعشاً عزيزاً مكرماً .

وفى بكرة النهار ركب غريبٌ بجواده وشهر سيف يافث بن نوح ، وجال فى الميدان متحدياً من يخرج لمبارزته وهو يقول : أنا الداعى إلى التوحيد ، أنا المبطل عبادة النيران ، فمن آمن فقد فاز ونجا ، ومن كفر وعصى سقيته كأس الردى ؛ فلما سمعه برقان عصفت برأسه الحمية وحلف بالنار التى يعبدها أن يخرج إليه ويقتله هو ومن بقى على دينه ممن اتبعوه واهتدوا بهديه ، ثم ركب فيلاً أبيض وانفلت به إلى غريب فى الميدان وقال له : كيف أبحت لنفسك أن تدخل أرضنا ، وتغوى ابن عمى وقومه ، وتدخلهم فى دين لا نعرفه نحن ولا آباؤنا من قبل ؟ ! لتبك على نفسك اليوم فهو آخر أيامك من دنياك .

فقال غريب : اقمى بصائركم . فبعدتم ذاراً إذا بال
عليها حماراً أظفأها . وسرى أنك سعى من أجلها إلى حتفك
فانحسأ فى ضلأنا ولا تتكلم . ثم ضربه بصفحة سيف يافث بن
نوح على رأسه فوقع على الأرض مغشياً عليه . فانقض أعوان
غريب من المردة عليه وكننوه ونقلوه إلى معسكرهم . فثار الجيشان
واشتعلت بينهما نيران القتال . وكان غريب يلازمه الماردان : الكيلجان
والقوريجان . ولا يهجم على جمع إلا فرقه وانقض من أمامه خائفاً
مذعوراً ، حتى وصل إلى الحيمة التى حبس فيها الملك مرعش . فأمر
الماردين أن يحلأ كتافه . ويكسرا قيوده . ويحملاه إلى معسكر قومه
من المؤمنين . وهناك ركب بجواده وتقلد سلاحه وخاض معهم معركة
القتال . ولما لم يجد الأعداء منهم إلا القتل وتمزيق الجموع فروا . وعلى
وجوههم صنفرة الفزع والخوف . وطاروا إلى مدينتهم .

أما غريب ومرعش وجنودهما فقد دخلوا مدينة يافث بعد أن طهروا
الأرض من أعدائهم . وطلب غريب أن يحضر الملك برقان بين
أيديهم فلم يجدوه .

وعرفوا أن عفريناً من أتباعه انتهز فرصة انشغالهم عنه بالقتال فحمله
إلى مدينة العقيق وقصر الذهب . وهناك جلس فى قصره كئيباً حزيناً ،
حتى جاءه المهزومون من أعوانه فهنأوه بسلامته فقال : أين السلامة وقد
خسرت جنودى . وليست ثوب العار والمذلة بأسرى . ولولا هربى
لكنت الآن من المالكين ؟ ! ! وما أنا بقاعد عن الأخذ بثأرى ودفع

هذه الفضيحة عني بتدمير هؤلاء الأعداء ! وأمر بإعداد جيش عظيم للرحيل به بعد ثلاثة أيام .

أما الملك مرعش فإنه أشار على غريب أن يتبع المهزومين إلى مدينتهم قبل أن يستعد برقان بجيش عظيم ليقضى عليهم في عقر دارهم . فأعجب غريب برأيه واستحسنه . وركبوا في مائة وستين ألفاً إلى مدينة العقيق وقصر الذهب .

٨

سار الملكُ مرعشُ وجنوده حتى كانوا في واد فسيح وكان الليل قد أقبل فباتوا فيه . وفي الصباح وجدوا جيش برقان قد عسكر في أطراف هذا الوادي ، وعرف الجيشان أن كلا منهما يريد الآخر . فقامت بينهما حربٌ طاحنة . ذاق فيها الكفار مرارة الموت والهزيمة . ولما جاء الليل أوى كل منهما إلى خيامه ، وأراد برقان أن يأخذ أعداءه بغتة وهم نائمون ، فأمر جنده أن يستعدوا للهجوم عليهم في خيامهم ليلاً . وكان فيهم مارد كان جاسوساً لجيش مرعش فأنسل من بينهم وانفلت إلى مرعش وغريب . وأخبرهما بما دبر لهما برقانُ من مكيدة الهجوم عليهم بغتة وهم نائمون . فقال غريب : دعهم يهجمون كما أرادوا ؛ ثم أمر جنده أن يخرجوا من خيامهم إلى حيث يبعثون عنها ، فإذا هجم برقانُ وجنودُه على خيامكم وجدوها خالية ، وحينئذ تطبقون عليهم

من كل ناحية : وتعملون فيهم سُيوفكم : فلا ينجو من أيديكم إلا من اعتصم بالظلام وفر هارباً .

وكذلك غلبت مكيدة غريب وفاز تدبيره . فما جاء الصباح حتى كان جيشُ برقان بين قتيل وهارب ، فأخذ جيش مرعش ما خلف أعدائهم من مغنم وساروا إلى مدينة العقيق وقصر الذهب ، وكان برقان قد خف إلى مدينته هذه مع الهاربين : وهناك أمر أهلها أن يأخذوا أولادهم وعبائهم وما خف حمله من أموالهم ويلحقوا به في جبل قاف عند الملك الأزرق صاحب القصر الأبلق : فقد رحل إليه مستجيراً به .

أما مرعش وجنوده فقد وصلوا إلى المدينة فوجدوا أبوابها مفتحةً وديارها خاليةً ، فدخلوها ومشوا في طرقها وشوارعها حتى كانوا في قصر الذهب ، فدخلوه وجعلوا ينتقلون فيه من دهليز إلى آخر حتى كانوا أمام أربعة أواوين . فرش أحدها بالبسط الحريرية وبه كرسيان من ذهب مُرصع بالدر والجوهر . فجلس مرعش وغريب عليهما : وقال غريب :

ماذا دبرت من رأى في أمر برقان وجنوده الذين تركوا مدينتهم خاوية ؟

فقال مرعش : كلفت مائة من الجواسيس أن يبحثوا عنهم حتى نلحق بهم ونقضى عليهم . ونحن هنا منتظرون عودتهم . وبعد ثلاثة أيام بجاءهم الجواسيس وأخبروهم أن برقان رحل

بجنوده وقومه إلى جبل قاف مستجيرين بالملك الأزرق فأجارهم .
فقال مرعش : لا ينبغي أن نسكت عنه حتى يغزونا بجنود الملك
الأزرق .

وأمر الجند أن يستعدوا للرحيل بعد ثلاثة أيام إلى جبل قاف ،
وقبل أن يرحلوا بناءهم المردة الذين حملوا سبها إلى قومه فقالوا :
إن عجيباً حين هرب ذهب هو وأتباعه إلى ملك من آل يعرب
ابن قحطان مستجيراً به راجياً معونته فأجاره هذا الملك ، وأعد جيشاً
لا يحصى عدداً . وقد عزم أن يغزو به العراق ليقضى به على أنصارك
وأعداء أخيك عجيب .

فقال غريب : لن ينالوا منا نيلاً ، فإن الله أعزنا وأيدنا بنصر من
عنده . فلا خوف علينا ما دمنّا مُخلصين لديننا : مستميتين في سبيله .
وعرض الملك مرعش على غريب أن يرحل معه إلى العراق لمحاربة
أعدائه فشكره وقال : لن أفارقك حتى أقضى على أعدائك .

وأعدوا ما استطاعوا من خيل وقوة . وولوا وجوههم شطر مدينة
المرمر والقصر الأبلق في جبل قاف ؛ وهذه المدينة من الحجارة
والمرمر : بناها مارد من الجن يسمى بارق بن فاقع كما بنى القصر
بقطع من ذهب وفضة إحداهما فوق الأخرى ، ولهذا سماه الأبلق ،
ونزلوا منه على مسافة مسيرة نصف يوم ، وأرسلوا عيونهم وروادهم
يتبينون الطريق وأخبار الأعداء ومباغ استعدادهم للقتال ، فجاءوهم بأن
المدينة قد غصت بجنود في عدد الرمل وقطرات المطر . وكلهم فرسان

من الجن لا يشق لهم في الحرب غبار . فقال غريب :
 قد يبلغ الإنسانُ بالرأى ما لا يبلغه بالقوة . والأمر علينا يسير : وذلك
 أن نختلط بالجنود في سكون الليل . ونبغتهم بالصياح مكبرين
 مهللين ، وحينئذ يستيقظون على هذا الصياح الذي يملأ أسماعهم ويظنون
 أننا بينهم فيموجون ويضطربون : ويضرب بعضهم بعضاً بالسيوف والأسنة .
 ويستمر بهم هذا الضرب إلى أن ينشر الصباح ضوءه . فنهجم على
 بقيتهم بخيلنا وأسلحتنا : وسيكون لنا النصر بعون الله وفضله .
 كانت خطة موفقة صائبة إذ جاء الصباح وقد أهلك الأعداء
 بعضهم بعضاً . ولم يبق منهم إلا قلة ضعيفة : هجم عليهم مرعش
 وغريب وجنودهما ، فقتلوا برقان والملك الأزرق . ونكلوا بجنودهما حتى
 فروا إلى القفار هاربين . ودخلوا المدينة فائزين . ثم دخلوا القصر
 فوجدوا أبوابه من ذهب وفضة : وعتباته من البياض وسقفه مموهة بماء
 الذهب الخالص ، ووجدوا فيه أموالاً كثيرة : وفرشاً حريرية غالية .
 وكراسى ذهبية وغير ذهبية : وسرراً من العاج المطعم بالذهب وأنواع
 الجواهر الكريمة : فاسترعى أنظارهم . واستهوى أفئدتهم . وقالوا :
 سبحان من يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر : له الحكم وإليه تصير
 الأمور .

ورأى غريبٌ بنتاً للملك الأزرق تسمى كوكب الصباح ، وأمها بنتُ ملك الصين . خطفها الملك الأزرقُ وتزوج منها ، فولدت له هذه البنت ثم ماتت بعد ولادتها بأربعين يوماً ، فكفلها أبوها حتى بلغت من العمر سبع عشرة سنة .

رآها غريبٌ فملكه عليه بجمالها كل مشاعره وأبدى لمرعش رغبته في الزواج منها فقال : القصرُ ومن فيه ملك لك . ونحنُ لا ننسى فضلك علينا . ولولاك ما انتصرنا على هؤلاء الأعداء .

وأمر غريبٌ أن يهدم القصر وتوزع قطعه من الذهب والفضة على المحاربين ، ونال غريبٌ منه شيئاً كثيراً . إلى ما ناله من الأموال والذخائر الأخرى التي عمروا عليها .

استأذن غريبٌ مرعشاً أن يعود إلى قومه وأهله : فقال : سأصحبك حتى تصل إلى ديارك في سلامة .

فقال غريبٌ : لن يصحبني إلا الماردان : الكيلجان والتورجان . فأمر مرعشٌ ألف مارد أن يحملوا الغنائم التي خصتُ غريباً ، وأن يكونوا معه حتى يستقر في دياره بين قومه وأهله .

فقال غريبٌ : وليحملوا معهم كوكب الصباح ، حتى لا يرهقها السفر ويشق عليها الرحيل .

ثم سلم عليه مرعشٌ ووصاهُ أن يبلغه إذا ما أصابه مكروه حتى يؤدي بعض ما وجب عليه من المعونة والوفاء . ومنحهُ جواداً أعجب غريباً وفرح به . وحمل المردة غريباً والأموال وطاروا حتى نزلوا على مقربة من مدينة عمان . فأمر غريبُ الكيلجان أن يذهب إلى المدينة ويأتيه بأخبارها قبل أن يدخلها . فجاءه الكيلجان وقال : إن المدينة يُحيط بها جنود كالبحر الزاخر . وهم في حرب مع قومك . والحمرقان بارز لهم الآن في الميدان .

فقال غريب : على نجوادي وسيبقى .
فقال الماردان : استرح أنت ونحن نمرق شمل الأعداء ، وندمر بنيانهم .

فقال : لن تقاتلا إلا وأنا معكما على جوادى .
كانت هذه الجنود لملك الهند طركنان ؛ وذلك أن عجيباً حينما هرب هو وأتباعه من جيش آل يعرب بن قحطان المهزوم ذهبوا إلى طركنان ملك الهند ، وقال عجيب له : جئتُك مستجيراً بك من أخ يسمى غريباً . وهو ملك العراق . اعتنق دين التوحيد وأبطل عبادة النار . وتبعه خلق كثير . ولأنى لم أتبع دينه ولم أترك عبادة النار . اضطهدنى . ورام قتلى . وجعلت أنا وأتباعى نفر خوفاً منه ، تتقاذفنا البلادُ والقفار . حتى أتيناك لاجئين لائذين .

فقال قد أجرتكم فاطمئنا . وأمر ابنه أن يخرج في ثمانين ألفاً إلى العراق . ليستقم منهم لعجيب . وقال ائتنى بغريب وكبار أعوانه

مقيدين في الأغلال . لأنعم هنا بتعذيبهم حتى يعبدوا النار أو يموتوا .
وسار رعدشاه بن طركنان ملك الهند في جنده حتى كانوا حول
مدينة عمان وبدأت المبارزة بين الجانيين : وأسر بيطاش الأقران
عم الملك طركنان الجمرقان وسعدان الغول وغيرهما .

وبينا هم في غمهم يألمون إذ بدا لهم ملكهم غريب ملثما يحول على
جواده في الميدان وفي يده عمود برقان الذهبي ملك الجان . وهريصيح
مكبراً مهللاً : ثم هجم على بيطاش وضربه بالعمود ضربة واحدة فوقع
على الأرض مغشياً عليه ، ثم التفت إلى سقيم وأمره أن يكتفه ويحمله
إلى معسكر المؤمنين ، وهكذا جعل يأسر كل من بارزه حتى بلغ
عددهم اثنين وخمسين أسيراً . والمؤمنين يعجبون أن جاءهم هذا الفارس
الذي لا يعرفونه ، فأنقذهم : وسخر من أبطال أعدائهم ؛ ثم انقضى
النهار وذهب إلى معسكر المؤمنين وكشف اللثام عن وجهه فعرفوه ،
وماجوا فرحين مستبشرين . شاكرين لله أن أنعم عليهم بقدم ملكهم ؛
وجلس غريب في حجرة الملك من مدينة عمان ، وأمر الجنود والأهلين
أن يذهبوا إلى مراقدهم مطمئنين . ولم يبق معه إلا الماردان : الكيلجان
والقورجان ، فأمرهما أن يذهبا به إلى العراق ويعودا به قبل الصباح .
فذهبا به وزار أهله الذين فرحوا بقدمه : ثم عادا به إلى مدينة عمان
والليل لم ينسلخ منه النهار .

وصحبا المؤمنون من النوم فوجدوا بينهم سعدان الغول والجمرقان وبقية
الأسرى : حملهم مارد من أعوان غريب بالليل . وأعداؤهم لا يشعرون .

وفي الصباح نزل غريب ميدان القتال على جواده ، وفي يده سيف يافث بن نوح وقال :

أنا غريبُ ملكُ العراق واليمن ، من عرفني فقد عصم نفسه مني ، ومن لم يعرفني فليبرز إلى لأعرفه بنفسى إن أبقيته في الأسر حياً .
فلما سمع رعد شاه بن ملك الهند ما قاله غريبٌ أمر بإحضار عجيب أخيه فقال له :

أنت السببُ في هذه المحنة التي حاقت بنا ، وهذا أخوك الذي تشكو منه ، فابرز إليه واثني به لأحمله إلى أبي موثقاً مقيداً .

فقال عجيب : أعفني من الخروج إليه فأني ضعيفٌ .

فقال : وإن لم تبرز إليه قطعت رأسك : فأنت سبب هذه الفتنة ولا بد أن تصطلي بنارها ، وإذا كان هذا أخاك وكان أقوى منك وأكثر أعوانا فلماذا تتمرد عليه ؟ ! ابرز إليه في الميدان وإلا قطعت رأسك . فلا ينبغي أن تجعلنا حطباءً لنيران الحرب وأنت في منجاة منها .

فخرج عجيب إلى أرضه وقال : أنا عجيبٌ ، جئتُك في هذا الجيش الذي يهلكك ويبدد قومك وأتباعك . فأسلم إلى قيادك وإلا فقد أنذرتك سوء المصير .

ففرح غريبٌ وابتداه بضربة بالدبوس في صدره : انحلت لها أعصابه ، ومد يده فاخطفه من سرجه ورماهُ إلى الماردين فكتفاه وحملاه أسيراً ذليلاً إلى معسكر المؤمنين : فأسرع إليه رعدشاه وقال :
يا غريب ؛ جئتُك ناصحاً قبل أن أسقيك كأس الموت ، فاستمع

لما أقول : انزل عن جوادك ، وقبل رحلي : وأطلق الأسرى من أبطالي ،
وسر معي إلى أبي ملك الهند ، واجعلني شفاعة لك عنده ليبقيك حياً
تعيش على لقمة الخبز .

فضحك غريبٌ وقهقه حتى بدت نواجذه ، ونادى سهماً وأمر
أن يحضرَ إليه الأسرى . فضرب رقابهم أمام رعد شاه . وقال :
هؤلاء الأسرى من أبطالك ، وسترى أنت الآن ما يحل بك ، ففر رعد شاه
وأيقن أنه مغلوبٌ غير منتصر ، إن لم يحضر الوهق الذي يصيد به الفرسان
الذين يفوقونه ولا يقدر عليهم ، وهو شيء مثل الشبكة يرُميه على
الفارس فيحبسه فيه ويجره إليه ، ثم قال لغريب : أنظرنى حتى أستوفى
عدة حربى .

فقال : أنظرتك ، فاذهب وأحضر ما تشاء من العدة والسلاح .
أحضرَ رعد شاه الوهق وجاءه على فيل ضخم فجفل جواد غريب ،
فنزّل وتركه ، وأقبل على رعد شاه ماشياً ، فابتدره ورَمَى عليه الوهق
فحبس فيه ، وكان الماردان لا يفارقان غريباً ، فأمسكا فيل رعد شاه .
فوقف في مكانه لا يتحرك ، واستطاع غريبٌ أن يكسر الوهق ويفات
منه ، وأقبل هو والماردان على رعد شاه . فكتفوه وساقوه أسيراً إلى
خيامهم .

وحينئذ هجم الجيشان بعضهما على بعض واشتد بينهم الطعن
والضربُ حتى جاء الليل ، وذهبَ كل إلى معسكره ، وكانَ
القتلى من جيوش المؤمنين كثيرين ، وسألهم غريبٌ عن سبب ذلك

فقالوا : ما غاظنا إلا الفيلة . فهي سببُ هزيمتنا في ذلك اليوم .
فقال رجلٌ من أهل عمان : أنا أكفيكم شرها ، وأجعلها نكبةً
على أصحابها إن أطعتموني . فأمرهم غريبٌ أن يطيعوا أمره ، فأحضر
لحم من دار السلاح سهاماً ونبالاً وأمرهم أن يستقبلوا الفيلة بالنبال حتى
ترتد خائفة ، فتدوسهم بأقدامها ، ونكون حينئذ قد أغرنا عليهم بسيوفنا
ورماحنا . وحينئذ يولون الأدبارَ إلا من قتل واهلك .

أثمرَ هذا التدبير ثمرته وهزم جيش رعد شاه بأخفاف الفيلة وسيوف
المسلمين ، وشتتوا في القفار خائبين ، وفرح المسلمون بنصرهم ومغانمهم .
وبعد أيام أحضر غريبٌ أخاهُ عجيباً وقال له : سأغفر لك
خطيئاتك في أمي وأبيك . وخيانتك وتأليب الملوك علينا ، وسأترك لك ملك
أبيك . وأكونُ تحت أمرك إن أنت صدقت وآمنت .
فقال : لن أترك ديني أبداً .

فتركه في قيده وأمر بحبسهِ وحراسته . ثم التفت إلى رعد شاه وقال :
وما رأيك في دين التوحيد الذي أدعوك إليه ؟
فقال : لولا أنه حق ما نصركم ربكم علينا . فماذا أقول حتى أدخل
في دينكم ؟

فقال له : قل : آمنت بالله وحده . فقالها .
فقال له غريب : الآن حقنت دمك . وأصبحت كأحدنا :
حرامٌ علينا دمك وعرضك ومالك إلا بحق الدين ، فاذهب إلى
بلادك وادع الناس إلى هذا الدين الذي آمنت به وذقت حلاوته .

فقال : أخافُ من أبي أن يقتلني لأنني فارقت دينه الباطل .
فقال غريب : حينئذ أذهبُ معكَ إليه ، وافتح لك بلاد أبيك
لتكون ملكها ، وننشر فيها دين الله ، ثم أمر الماردين الكيلجان
والقورحان أن يحملاه هو ورعد شاه وسعدان الغول والحمرقان إلى
بلاد الهند ، فأنزلاهم على سطح قصر الملك بمدينة كشمير ، وكان
المهزومون قد سبقوهم إلى طركنان وحكوا له قصة الهزيمة وأن ابنه رعدشاه
أسيرٌ في أيدي المؤمنين ؛ فجلسَ في قصره هذا حزينا لا يدرى ما يفعله
من أجل ابنه .

وبينما هو غارقٌ في حزنه وتفكيره دخلَ عليه ابنهُ ومعهُ غريبٌ
وسعدان الغول والحمرقان ، والماردان ، فاندحش لهذه المفاجأة التي لم
يكن ينتظرها ؛ ولكن دهشته لم تلبث إلا قليلا ، لأن خوفه من الماردين
ملأ صدره وشغل حسه ؛ فجلسَ ساكتاً لا ينطق ، ثم قال ابنه : ما
رأيت هزيمة في جيش أثمرت نعمةً وخيراً كهزيمة في جيشي هذه المرة ،
فقد أخرجتني من ظلمات الكفر وعبادة النار إلى نور الإيمان وعبادة
الله الواحد القهار ؛ فيا أبت ، لا تعبد النار التي لا تسمع ولا تبصر ولا
تغني عنك شيئاً ، واعبد الله الذي خلقَ النارَ وخلق كل شيء . فرماه
أبوه بلبوس كان معه ، ولكنه أخطأه ، فأصابَ جدار الحائط فهدم
منه ثلاثة أحجار ، ثم قال : أفنيتَ جنودي ، وخسرت دينك ودين
آبائك ، وجئت تغويني وتخرجني من ديني ؟ ! فلكمه غريب في
عنقه ، وأقبل الماردان فأوثقا كتافه ، ثم عرضوا عليه الإيمان فأبى

واستكبر ، فضربه غريبٌ بسيفه الماحق فقتله ، ثم أمر أن يعاق على باب القصر وأجلس ابنه رعد شاه على كرسي مملكه ، وجلس غريب عن يمينه ، والماردان والحمرقان وسعدان الغول عن اليمين وعن الشمال ، وأمرهم غريب أن يجلسوا كل من قدم إلى القصر من الملوك والرؤساء ، وأن يحضروهم بين أيديهم ، وبما طلعت الشمس حتى كان بين أيديهم من هؤلاء الملوك والرؤساء ثلاثمائة خمسون ؛ فقال لهم غريب : أرايتم ما أصاب مليكمكم ؟

فقالوا : نعم . ومن فعل به هذا ؟ !

قال غريب : أنا الذى قتلتته وسأقتلكم مثله إن بقيتم على عبادة النار ، ولم تؤمنوا بالله ورسله .

فقالوا : آمنا بالله ورسله . ونحمد الله تعالى الذى سخرك لنا ، فأخرجنا من الظلمات إلى النور .

فقال غريب : وهذا ملككم رعدشاه قد آمن من قبلكم ، فاذهبوا إلى قومكم وادعوهم إلى الإيمان ، فمن أبى منهم فاقتلوه ، فأمن أقوامهم جميعهم إلا قليلا منهم قتلوا وطهرت منهم الديار .

ثم أقام غريب أربعين يوماً بنى فيها المعابد ، وثبت الملك لرعد شاه ، ثم رحل إلى العراق ومعه سعدان والحمرقان يحملهم الماردان ويحملان ما معهم من الهدايا والتحف .

وكانوا فى مدينة عمان وقت الفجر ، ودعا أخاه عجيبياً فعرض عليه الإيمان مرة أخرى فلم يقبل فأمر أن يقتلوه رمياً بالنبال . وانتقل

بموته إلى جهنم وبئس المصير : ثم رَحَلُوا إلى عاصمة العراق التي فرحت
بقُدُومِهِمْ ، وتلقَتْهُمْ بمظاهر الفرح والغبطة .

أقام غريبُ في العاصمة مدة غيرَ طويلة . دخل فيها بمهدية ، ثم
استخلف عمهُ ودخل هوُ بَابِلَ ، وأقام فيها عشرة أيام ، ثم إلى حصن
سعدان الغول فاستراحوا فيه . ثم كلف الماردِين الكيليجان والقورجان
أنْ يذهبا إلى المدائن ويدخلا قصر كسرى ، ويأتياه بأخبار فخر تاج ،
ورجل من أقارب الملك ليقص عليه ما جَرَى . وبينما هما يطيرانَ بين
السماء والأرض رأيا جيشاً كأنه البحر الزاخر ، فنزلا وهشيا مع جنده .
حتى عرِفَا أنهم أعجم يقدوهم رستم إلى غريب ملك العراق واليمن ليقتلوه
ويقتلوا أتباعه . فصبرا حتى جاء الليل وناموا ونام ملكهم رستم في
خيمته . فدخلا عليه وحملوا سريره وهو نائم عليه ، ووضعاه بين
يَدَيْ غريب . فسألهم : من هذا ؟ !

فقالا : هذا رستم قائد قواد العجم جاء في جيش جرار يبغى قتلك
وَمَنْ مَعَكَ وَأَتْبَاعُكَ .

فقال غريب : أحضرا لي مائة بطل ومعهم سيوفهم ، فلما حضروا
أمرهم أن يحيطوا بهذا الملك وسيوفهم مشهورة فوق رأسه ، ثم نبهوه
وأيقظوه ، فوحد نفسه تحت ظلة من السيوف القاطعة . فكاد يصعق
من شدة الفزع ، وقال : أين أنا الآن ؟ !

فقالوا : أنت أمام الملك غريب الذي يبطل عبادة النار ، ويدعو

إلى الإيمان بالله الذى خلق النار وخلق السموات والأرض وهو رب كل شىء .

فقال : وقد أبطلت معه عبادة النار . وآمنت بالله ورسله . فأمر أن ترفع السيوف عن رأسه ، وأن يجلس معهم كأحدهم ، ثم سأله : ما اسمك ؟ ولماذا قدمت ؟

فقال : أنا رستم ، من رؤساء العجم ، أرسلنى صهرك الملكُ سابور فى مائة ألف لقتلك وقتل من يتبعونك .

فقال غريب : سيجزيه الله بما أضمر فى نفسه للناس من شر . وكيف حال الملكة فخر تاج ؟

فقال : البقاء لله !

فقال غريب : وما سبب موتها ؟ !

فقال : بعد أن غادرتنا فى طلب أخيك دخلت جارية من جوارى أبى الملك سابور عليه . وقالت : هل أذنت أن يزور غريبُ سيدتى فخر تاج فى قصرها ؟ فقال : لا . ثم قام إلى ابنته وقال : كيف قبلت أن يزورك غريبُ وما أعطانا مهرِك ؟

ف قالت : إنك أذنت له وزوجتنى منه .

فغضب وأمر الجوارى أن يحبسها ، وأراد أن يقتلها فأبَت زوجته وقالت : إن فى قتلها علانية معرة لنا ، ولكن احبسها حتى تموت صبراً . فقال : سأفعلُ أعظم من هذا . وكلف اثنين من خواصه أن يأخذوها فى ظلام الليل ويلقيها فى نهر جيحون ثم يعودا ، وأن يبتى ذلك العمل

سراً في ضمير الغيب ، ففعلاً ما أمر ، وذلك ما عرفناه بعد زمن طويل ، فحزن غريب على زوجته ، واشمأز من فعلة أبيها المنكرة ، وقال : سأنتقم منه شر انتقام وأوجعه . وكتب إلى الجمرقان وصاحب ميافا رقين وصاحب الموصل أن يحضروا إليه في ألوف من الفرسان ، ثم قال لرستم : كم جندياً معك ؟ فقال : مائة ألف من العجم فقال : سر في عشرة آلاف إلى قومك واشغلهم بالحرب حتى أدركك ، وعزم رستم أن يفعل في قومه ما يقربه من غريب ويجعل له لسان صدق عنده ، فأمر جنده من المؤمنين أن يحيطوا بجيش العجم مبعدين ، فإذا شملهم سكون الليل واطمأنت جنوبهم في مضاجعهم ، فصيحوا من حولهم مكبرين مهللين ، واهجموا عليهم بسيوفهم وصيحاتكم هذه التي تملأ آذانهم وقلوبهم ، فإذا ما رأيتهم تضاربوا بالسيوف فانسحبوا مبعدين صامتين ، واتركوهم في الظلام تأكلهم سيوفهم ويقتلون أنفسهم بأيديهم . وفي ضوء الصباح أغيروا عليهم من كل ناحية حتى لا تبقى منهم باقية .

وقام الجند بما دبره رستم فكانت معركة قاضية ، وفي ضوء الصباح فر الباقون من جيش العجم ، ولاذوا بالصحراء تاركين خيامهم وأموالهم فاحتلها رستم بجنوده المؤمنين ، ولبشوا فيها حتى أتاها غريب .

قدم غريب في جيش يملأ الأرض ، فوجد رستم قد سحق جيش العجم ، واحتل خيامه ، وغنم أمواله ، وأرغم الباقين منه على الفرار والحرب ، فاستبشر برستم ، وأحبه ، وقال له : ما غنمته فهو لك ، ثم استراحوا يومهم هذا ، وجدوا في المسير إلى سابور ملك العجم ، وكان

الهابون قد سبقوهم إليه ، وحكوا ما نزل بهم من هزيمة شنعاء ، فسألهم : ومن فعل بكم هذا ؟ فقالوا : قائدك رستم ، فإنه آمن وأصبح من أعوان الملك غريب وأتباعه . فاحتدم الغيظ في صدره والتفت إلى ابنه وردشاه قائلاً : ليس لهذه الداهية من فارس غيرك !

فقال وردشاه : وسأسوق إليك غريباً وكبراء أعوانه مكتفين بعد أن أدمر قومه وأتباعه تدميراً ، فلا تبتئس بما فعل رستم الذي خانك وصَباً ، وكان حرباً عليك بعد أن وثقت به ، واثمنتته على جيشك .

أعد وردشاه جيشاً عدته مائة وعشرون ألفاً ، ولما هم بالرحيل بان لهم في الأفق غبار جيش يقطع الفيافي إليهم ، فعسكروا أمام المدينة ينتظرون ، وأرسلوا روادهم ليكشفوا لهم أخبار هذا الجيش القادم . فقالوا لهم : أتاكمُ الملكُ غريبٌ يجيش في عدد الحصى ، وقلوب الأسود الكاسرة ، وقوة السيول الهادرة .

ورآهمُ غريبٌ ضاربين خيامَ الجنود أمام المدينة ، فنزل بجيشه قبالتهم ، وضربوا خيامهم ، ولبثوا فيها يرتقبون صباح الغد لبدءوا فيه القتال .

ولما أصبح الصباح ركب رستم جواده وجال في الميدان منادياً من يبارزه ؛ فبرز إليه بطل من أبطال العجم اسمه طومان ، فضربه رستم بعمود كان معه فوقع على الأرض مهشماً يتخبط في دمه ، فاغتاز سَابور وأمر الجيش بالهجوم العام وقابلهم المؤمنون بهجوم مثله ، وحمى وطيس الحرب ، واشتد الطعنُ والضربُ ، وطارَت الأرواح إلى بارئها ، وسالت الدماء ، وتناثرت الأشلاء ، وعم الكربُ وشمل البلاء ، وضرب

غريبٌ حاملٌ علمِ الأعجام ورافعه ضربةً أوقعته على الأرض مغشياً عليه ، فأخذه الماردان أسيراً ، ولما رأى جيش سابور أن العلم قد سقط تراحموا على أبواب المدينة هاربين ، والمؤمنون من خلفهم مطبقون حتى نادوا : الأمان الأمان . وكان سابور قد سيق إلى المسلمين أسيراً . فوقف القتالُ ودعاهم غريبٌ إلى الإيمان فأمنوا ، وآمن معهم أهل المدينة . ثم ذهب إلى قصر سابور وجلس على كرسي ملكه ، ووَزَعَ الغنائم على أهل المدينة فعرفوه بالشجاعة والكرم وأحبوه .

وجاءته أم فخر تاج باكيةً وقالت : معذرة يا سيدى الملك ، فما بكأى إلا من أجل ابنتى فخر تاج . فقد تذكرتها حينما رأيتك ، ولو كانت موجودة لفرحت بقدمك فرحاً عظيماً .

فأمر غريب أن يأتوه بسابور ، فلما جاءه سألته : ماذا فعلت بابنتك فخر تاج ؟

فقال : أمرت هذين الرجلين - وأشار إليهما - أن يلقياها ليلاً فى نهر جيحون ، فسأل الرجلين عما قاله سابور فقالا : أمرنا بإلقائها فى نهر جيحون ليلاً ، ولكننا أشفقنا عليها واستنكرنا إلقاءها . فتركناها على شاطئ النهر ، وحذرناها أن ترجع إلى مدينة أبها ، حتى لا يقتلها ويقتلنا معها ، ولا ندرى الآن أهى من الأحياء أم من الأموات .

فدعا غريبُ المنجمين وأمرهم أن يكشفوا له خبرها ، فقالوا : إن فخر تاج لا تزال حية ، وقد ولدت لك غلاماً . وهى عند طائفة من الجن . ولن تلتقى بها إلا بعد عشرين سنة من فراقها . وكان قد فارقها منذ ثمانى سنوات .

وبينما هو جالس في قصره رأى غباراً ملأ الجو ، فأمر الكيلجان والقورجان أن يأتياه بنجر هذا الغبار . فخطفا فارساً ووضعاه بين يدي غريب : وقالوا : سل هذا فإنه من الجنود القادمين . فقال : هرب ابن سابور في شزيمة قليلة من فرسان أبيه بعد أن هزمته إلى مدينة شيراز ، وشكا إلى ملكها ما فعل غريب ملك العراق واليمن ، وحكى له أنه يدعو إلى الإيمان ، ويتبعه خلق كثير . وأنه أبطل عبادة النار ، وقتل كثيراً من الأعمام ؛ فقال وردشاه ملك شيراز : سأقطع دابر العرب والمؤمنين ، وجاءك بهذا الجيش الذي تراه . وفيه ابن سابور مع الملك .

فقال الماردان : نرجو منك أن تترك لنا هذا الجيش نقاتله . فقال : هو لكما فافعلما تشاءان ، فذهبا إليه ، وخطفا ورد شاه ملك شيراز ، وابن سابور ، ووضعاهما أمام غريب فأمر بحبسهما ، ثم رجعا إلى الجيش وجعلا يحصدان الأرواح بسيفيهما حصداً والكفار يرون الأجسام تتساقط على الأرض ، والرءوس تتناثر ولا يرون ضارباً ، فخافوا وفروا تاركين أموالهم بعد أن خسروا فرساناً كثيرين ، ولما كانوا في مدينة شيراز حكوا ما أصابهم إلى أهلها . وأعلموهم أن الملك وابن سابور خطفا من بينهم . وكان للملك وردشاه صاحب مدينة شيراز أخ ساحر وكاهن يسمى

سيران الساحر ، وهو منعزل عن مدينة شيراز في حصن بينه وبينها مسيرة نصف يوم ، فذهبوا إليه وأخبروه فقال : سأقتله وأقتل قومه وأعوانه ، وليذهب كل منكم إلى شأنه .

ثم قرأ كلمات وتمتم ، فحضر الملك الأحمر وهو من الجان ، وأمره أن يأتيه بغريب من حيث هو ، فقال : سمعاً وطاعة ؛ ثم طار إليه . فلما عرفه غريباً جرد سيفه الماحق وهم أن يقتله بمعونة الماردين اللذين لا يفارقان ، ولكن الملك الأحمر فر من وجوههم ، وذهب إلى سيران وقال له : كان في بعثك إياي إلى غريب حثي وهلاكى ، فإنه يحمل سيف يافث بن نوح ، وهو مطلسم ، لا نستطيع أن نهجم عليه وهو في يده . فقال له سيران : امض أنت لشانك .

ثم تلا كلمات ، وهمهم وتمتم ، وأحضر مارداً آخر اسمه زعازع ، وناولته درهماً من بنج طيار ، وقال له : اذهب إلى غريب في صورة عصفور ، فإذا رأيته قد نام فضع هذا البنج في أنفه ، ثم احمله وائتني به ، ففعل المارد ما أمره به سيران ، وكان غريباً بين يديه في منتصف الليل ، وأراد أن يقتله ، فهناه رجل من قومه ، وقال له : إن قتلتته فقد خربت ديارنا وفتحت علينا أبواباً من المصائب والمحن لا نقدر على سدها ، فإن الملك أمرعشاً صاحبه ، وربما أطلق علينا عفاريته فلا نجد راحة ، بل لا نجد الحياة ، فقال : وماذا أصنع فيه ؟ !

قال : ألقه في نهر جيحون وهو مُبَنَّج ، فلا يدري من ألقاه فيه ، وسيموت غرقاً دون أن يعرف أحد .

فأمرَ سيران المارد أن يرميه في نهر جيحون ، فحمله المارد إلى شاطئه .
ولم يهن عليه أن يرميه ؛ فأحضر خشباً كأنه الفلك ، وربطه فيه ،
وألقيه في النهر عائماً سائراً مع التيار .
أما قوم غريب فإنهم تفقدوه في الصباح ، وبحثوا عنه في كل مكان ،
فلم يجدوه ، وانتظروا له عودةً حتى يشسوا : فأسلموا الأمر لله وصبروا .

١١

جعل التيار يجري بغريب حتى ألقيه في البحر الملح ، وجرى
به فيه حتى بعد عن شاطئه ، ثم أفاق من خدر البنج فوجد نفسه في
في البحر وليس بجواره أحد ؛ ثم رأى فلكاً سابحاً في البحر ، فاوح لمن فيه
بيده فأقبلوا عليه ، وانتشلوه من الغرق ، ثم سألوه عن نفسه ، وعن
سبب ما كان فيه من خطورة ، فقال أطعموني واسقوني أولاً حتى أستطيع
أن أتكلم وأحكى لكم : فأحضروا له طعاماً ، وأكل حتى شبع . ثم قال لهم :
من أين أنتم ؟ ! وما تعبدون ؟ !

قالوا : نحن من الكرج ، ونعبد صنماً اسمه منقين .
فقال لهم : تبا لكم ولما تعبدون من الأصنام ! ! إنما يُعبد الله الذي
سيركم في البحر ، وجعل لكم النجوم لتَهْتَدُوا بها في ظلمات البحر والبر .
فأرادوا أن يضربوه ، ولكنهم رأوا أن يكتفوا بأن يكتفوه ، وقالوا :
لا نقتله إلا في أرضنا ، لنعرضه على مليكنا . وكان قد أنشأ مدينة الكرج

عملاق جبار . وجعل على أبوابها تمثال شخص من نحاس مطلسم ، وكلما دخل إنسان غريب المدينة نفخ في البوق فأمسكه أهل المدينة وقتلوه إن لم يدخل في دينهم .

فلما دخل غريب مدينة الكرج صاح ذلك التمثال صيحة أفزعّت الملك وجعلته يذهب إلى صنمه ويسأله ، فوجد النار والدخان يخرجان من فمه وأنفه ، وكان الشيطان قد دخل في جوفه وقال للملك : دخل مدينتك الآن ملك العراق واليمن . واسمه غريب ، وهو يصرف الناس عن دينهم ، ويدعوهم إلى دينه ومذهبه . فإذا دخلوا به عليك فاقتله ولا تبقه لحظة واحدة .

فلما خرج الملك وجلس على كرسي ماله جاءوه بغريب هذا وقالوا : قد وجدنا هذا غريقاً في البحر فأخرجناه ونجيناه ، وهو كافر بآلهتنا ، وقصوا عليه قصته .

فقال الملك : اذهبوا به إلى بيت الصنم الكبير ، واذبجوه أمامه ، فلعله يرضى عنا .

فقال الوزير : لا ينبغي ذبحه ، ولكن نوقد النار و نلقيه فيها .

فأمر الملك بإلقائه في النار .

جعل القوم يجمعون الحطب ويوقدون النار طول الليل ، ثم ذهبوا في الصباح إليه في سجنه ليحضروه فلم يجدوه . فأخبروا الملك فقام إلى صنمه ليسأله ، فلم يجد الصنم أيضاً ، فالتفت إلى وزيره وقال : أنت الذي أشرت على بإلقائه في النار وكنت سأذبحه ، وما هو ذا قد

سرقَ الصنمَ ومضى ؛ ثم ضرب عنق الوزير بسيفه فقتله ! !
 وكان السبب في هرب غريب أنه وهو في سجنه جلس إلى جوارقه
 الصنم الكبير وجعل يذكر الله تعالى ؛ ويدعوه بصفاته ؛ فسمعه المارد
 الذى وكل إليه الصنم الكبير ؛ فخشع قلبه وأضاء بنور من ربه ؛ وجاء
 إلى غريب وقال : قد حبب إلى دينك ؛ فماذا أقول حتى أدخل فيه ؟
 فأرشده ؛ ثم حمّله المارد ، وحمل الصنم وطار بهما في الجو ، وكان
 هذا المارد اسمه زلزال بن المزلزل ؛ وأبوه من كبار ملوك الجان .
 قتلَ الملكَ وزيره ؛ فأنكرَ القومُ هذا الحادث ، كما أنكروا عبادة
 الصنم فقتلوا الملك ، ثم وقعوا في فتنة عمياء وجعل يقتل بعضهم بعضاً حتى
 فنوا ، وهجرت النساء والبنات المدينة وذهبن إلى القرى ، وأصبحت المدينة
 خالية لا يسكنها أحد .

أما المارد فإنه طار بغريب إلى بلاده في جزائر الكافور ، وقصر
 البلور ، والعجل المسحور ؛ وكانَ عند المزلزل أبيه عجل أبلق ألبسه
 حلياً من ذهب ؛ واتخذهُ هو وقومه إلهاً يعبدونه ؛ فدخل عليه ، فوجده
 فزعماً غاضباً ، فسأله عن حاله ، وكان الشيطان قد دخل في جوفه فقال :
 إن ابنك قد صَبَأ ، ودخل في دين غير دينك ، وَحَكَى لَهُ ما جَرى
 من زَلْزال معَ الملكِ غريب ، فعرض الأمر على رجال دولته فعجبوا
 وقالوا : ماذا نفعل :

فقال : إذا جاء ابنى ورأيتمنى قد احتضنته فأمسكوه وكتفوه ،
 فلما جاءه بعد يومين ومعه غريب أمسكوه وكتفوه ، ثم قال له أبوه :

كيف صَبَأَتْ وتركت دينك ودين آبائك ؟

فقال الابن : يا أبى تركت الباطل إلى الحق ، وخرجت من الظلمات إلى النور ، فأمنت بالله ورسله ، وإني أدعوكم إلى أن تؤمنوا بما آمنت به لتنجوا من عذاب النار .

فغضب أبوه وأمر بحبسه ، ثم التفت إلى غريب وقال : يا هذا ، كيف خدعت ابني حتى ترك دين آبائه وأجداده ؟
فقال غريب : أخرجته من الضلال إلى الهدى ، ومن النار إلى الجنة !!

فأحضر الملك ماردا اسمه سيار ، وأمره أن يلقيه في وادى النار ، وهو واد شديد الحر ، لا يذهب إليه إنسان إلا هلك ، فطار به المارد إليه ، وقبل أن يصل إلى ذلك الوادى أحس تعباً لم يستطع معه أن يستمر في طيرانه ، فَنَزَلَ به في واد كثير الأشجار والمياه والثمار ليستريح ، وانتهز غريبُ فرصة نوم المارد ورفعَ حجراً ثقيلاً ، وضرب به رأس المارد فقتله .

وكان هذا الوادى في جزيرة وسط البحر ، وأقامَ غريبٌ فيه سبعَ سنين يعيش على ثمار أشجاره .

وذات يوم نزل على غريب من الجو ماردان مع كل واحد رجل ، وكان قد طال شعره وامتدت أظافره ، فحسبوه من الجن وسألوه عن حاله ؛ فحكى لهم قصته .

فقال أحد الماردين انتظرنى هنا حتى نترك هذين الخروفين عند

مليكننا ليأكلهما : ثم أعود إليك وأحملك إلى بلادك .

فقال غريب : وأين الخروفان ؟ !

فقال المارد : هذان الآدميان فعجب غريب . واستغفر الله في

نفسه ، واستعاذ به وصبر .

وبعد يومين جاءه المارد . وحمله وارتفع به في الجو حتى
كاد يسمع تسبيح الملائكة : فانطلق إليه شهاب فهوى إلى الأرض
حتى كانَ بينها وبينه مقدار رمية الرمح . فقفز غريبٌ ونزل إلى الأرض
عن كاهله ، وأصابَ الشهاب المارد فأحرقه وصار رماداً : وكان
سقوط غريب في البحر ، فجعل يعوم ويسبح حتى تعب وكلت قواه ،
ورأى جبلاً قريباً منه فجعل يسبح نحوه حتى خرج من البحر وصعد فيه ،
وطعم من نباته .

ثم هبط من الجبل في ناحيته الثانية وسارَ مدة يومين حتى وجد
مدينة ، فأمسكه حراس الباب وذهبوا إلى ملكهم جانشاه وكان لها من
العمر خمسمائة سنة ، وكانت تقتل كل إنسان غريب يعرض عليها ،
وقتل في ذلك خلقاً كثيراً ، فلما رأت غريباً أعجبها فسألته : ما اسمك
وما دينك ؟ ومن أين البلاد ؟

فقال غريب : اسمي غريب ملك العراق ، وديني التوحيد .

فقالت : ادخل في ديني وأنا أتزوج منك ، وأجعلك ملكاً على بلادى .

فقال : تباً لصنمك ، وهل يخرج من النور إلى الظلمات إلا

ضال أو جاهل ؟

فقالت : أتسب صنمي وهو من العقيق المرصع بالذهب والجواهر؟ !
ثم أمرت أن يحبسوه مع صنمها لعل قلبه يلين . فوضّعه معه في
حجرته وأغلقوا عليهما الباب ، ومضوا إلى شأنهم .
حمل غريبُ الصنم وضربَ به الأرض فأصبح هشيماً . ثم نَامَ
معتمداً على ربه . وفي صباح الغد جاءت الملكة إلى مقصورة
حكمها وطلبت الأسير ، فذهبوا إليه ليحضروه فوجدوا الصنم مهشماً .
وأبى غريبُ أن يذهب إلى الملكة معهم . وكلما حاولوا أخذه بالقوة
لطمهم ، وكلما لطم واحدا منهم قتله ، حتى بلغ عدد القتلى خمسة
وعشرين قتيلاً . فقالوا للملكة : إن الأسير هشم صنمك . وقتل
رجالك ، فقالت :

وما هذه الأصنام التي لا أثر لها ولا تقدر أن تدافع عن نفسها ؟ ! !
ثم ذهبت في ألف بطل إليه . فوجدت في يده غريبٌ سيفاً يضرب
به رقاب الجموع المحتشدة ، فقالت : ما أنا في حاجة إلى الأصنام
بعد ذلك ، وليس لي إلا أن أتخذ هذا الغريب الشجاع زوجاً لي بقية
حياتي ؛ وأمرت رجالها أن ينفضوا من حوله ، ويغمدوا أسلحتهم ،
ويسكتوا عنه ، وتقدمت إليه ، وهممت وتمتت ، فوقف ذراعه ،
وانحلت قوته ، وارتخى ساعده ، وسقط السيف من يده . فأمرت
رجالها أن يكتفوه ويحملوه إلى مقصورتها . وهناك اختلت به وقالت له :
أتكسر صنمي وتقتل رجالي ؟ !
فقال : لو كان هذا الصنمُ إلهاً حقاً لاستطاع أن يدافع عن نفسه ،

فكيف تعبدينه وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ؟ !
فقلت : لأعذبك عذاباً شديداً .

وأخذت قليلاً من الماء . وتلت عليه كلمات ثم رثته به فصار
قرداً ، ثم حبسته ووكلت خدمته إلى بعض الخدم سنتين : ثم أحضرته
وسأله :

أتسمع كلامي ؟ !

فقال مشيراً برأسه : نعم .

فخلصته من صورته ، وأطعمته واطمأنت إليه . لأنها فهمت من
إشارته أنه لا يعصى لها أمراً : ولكنه انتهر فرصة وأمسك رقبتها بيديه
وخنقها ولم يتركها إلا ميتة . ونظر في مقصورتها فوجد خزانة مفتوحة
وفيها سيف ودرة . فأخذهما ووقف بهما على باب القصر في الصباح ،
 واجتمع الكبراء أمامه . ودعاهم إلى التوحيد . فأبوا واستكبروا .
فأخذ يقاتلهم . وكلما مر وقت من النهار كثرت أمامه الجموع تبغى
قتله ، وهو يحاربهم . ويدافع عن نفسه . وإذا بألف ما رد على رأسهم
زلزال بن المنزل نزلوا على القوم بسيوفهم فأبادوا كثيراً منهم ثم صاحوا :
الأمان الأمان ، وقد دخلنا في دينك : فسكت القتال . وسلم
زلزال على غريب وهناك بسلامته وانتصاره ، وسأله غريب : كيف
علمت بحالتي ؟ !

فقال : لبثت في السجن سنتين . ثم أطلقني أبي ولم يلبث أن مات ،
وورث ملكه من بعده . وكنت لا أزال أذكرك ولا أنساك . فرأيت في

المنام أنك تقاتل الملكة جانشاه ، فأسرعت إليك بهؤلاء المردة وكان ما رأيت .

ثم جعل غريب حاكماً على المدينة ، وحمله المردة ، وحملوا ما غنموا من الأموال وطاروا إلى مدينة المارد زلزال ، وأقام غريب فيها ستة أشهر ، ثم رغب في الرواح ، فحمله زلزال ، وحمل المردة كثيراً من الغنائم والأموال وطاروا ، حتى كانوا في المدائن في منتصف الليل ، ولكن غريباً وجد المدينة محاطة بجنود لا يحصون عدا ، فنزل من فوق سطح قصره ، ونادى على نسائه ، فخرجن من المقصورات قائلات : من ينادينا في هذا الوقت من الليل ؟ !

فقال : أنا غريب زوجكن .

فعرفنه ، وفرحن به ؛ وامتلا القصرُ زغردة وضجيجاً وغناء وتصفيقاً من الجوارى وغيرهن . فجاء الرؤساء مسرعين ليتبينوا هذه الضجة ، فوجدوا ملكهم قد حضر ، فهاجوا فرحين أيضاً ، وجاءوا يهتفون ؛ ثم سألهم عن هؤلاء الجنود المحيطين بالمدينة فقالوا : إنهم على هذه الحال منذ ثلاثة أيام ، ومعهم إنس وجن ، ولا ندرى ما يبغون منا وما وقع قتال بيننا وبينهم ، وملكهم معهم واسمه مراد شاه .

١٢

كانَ الملكَ سابور قد بعثَ اثنين من خواصه ليرميا ابنته فخر تاج
 في نهر جيحون ، ولكنهم تركاها على شاطئ النهر ، وحرما عليها العودة
 إلى مدينة أبيها حتى لا يقتلها ويقتلها معها ، فolt وجهها شطر القفار ،
 سائرةً على غير هدى ، تبغى الحياة في أى مكان ، فعثرت في سبيلها
 على واد كثير الأشجار والمياه ، ووجدت في وسطه حصناً على البناء ،
 فدخلته ، فوجدته مفروشاً بالحريز ، مملوءاً بالأواني الذهبية ووجدت فيه
 مائة جارية ، فأقبلن عليها وحيينها ، وهن يحسبنها من جوارى الجن ،
 ولما سألنها عن حالها قالت : أنا بنت سابور ملك العجم ، وقصت عليهن
 قصتها ، فقلن لها :

طبي نفساً ؛ ولك في هذا القصر ما تشتهين ، ونحن لك أطوع من
 بناتك .

فشكرتهن وسألتهن عن صاحب هذا القصر ، فقلن : الملك صلصالُ
 ابن دال ، وهو يأتي إليه ليلة في كل شهر ، ثم يغادره إلى قبائل الجان .
 لأنهُ الحاكم فيها .

وبعدَ خمسة أيام من قدوم فخر تاج وضعت غلاماً جميلاً ، فقامت
 الجوارى بخدمتها وخدمة ابنها وسمينه مراد شاه ، ثم أقبل صلصال في
 مواعده ، فاستقبلته الجوارى ، ومعهن فخر تاج ، فلما رآها سأل جواريه

عنها فقصصن عليه قصتها . فغضب لما أصابها . وأشفق عليها ، وقال :
اطمئني ولك عندي ما تشائين . واصبري حتى يكبرا ابنك مراد شاه ،
ثم أذهب به إلى أبيك فأقطع رأسه . وأجلس ابنك على كرسي ملكه .
فشكرته فخر تاج ودعت له بالخير وطول البقاء . وبلغ ابنها خمس عشرة
سنة وحذق ضروب الفروسية ، ثم جلس إلى أمه فخر تاج ليلة وسألها
عن أبيه فقالت :

أبوك غريب ملك العراق ، وأنا بنت سابور ملك العجم ، وحكت
له قصتها ، فسألها :

وهل أسر جدي بقتلك وقتل غريب أبي ؟

فقالت : نعم .

فقال : وحياتك يا أمي لأسيرن إلى أبيك . ولأقطعن رقبتك ، ولأضعن
رأسه بين يديك هدية ومنحة . ففرحت به ودعت له بالعز والهناء .
وفي يوم خرج في جيشه قاصداً مدينة جده ، وجعل يغزو ما في
طريقه من المدائن ، ويأخذ منها له أعواناً وجنوداً ، فأخذ من شيراز
وبلخ ونورين وسمرقند وأخلاط وغيرها حتى كان في جيش كالبحر
الزاهر ، وعسكر به حول مدينة جده ، وصبر عن القتال حتى تجيء
أمه ، وكان قد بعث من يأتيه بها . ليضع جده مقتولا بين يديها .

وجاء زلزال بغريب في ذلك الحين ، وسأل عن هذا الجيش فأجيب
بأنه جيش نزل في هذا المكان منذ ثلاثة أيام ولا يعرف عنه شيء .

ولما جاءت فخر تاج أجلسها مرادشاه في خيمته ، وأمر أن تدق



غریب یلتقی ہز وجتہ فخر تاج وابنہ مراد شاہ

الطبول إيداناً بالحرب وبدء القتال ، فركب إليه غريبٌ والجنود من الإنس عن يمينه ومن الخن عن يساره وسمع مراد شاه في الميدان يقول : لا يبرز لي إلا ملككم فإن قهرني فجنودي له ، وإن قهرته قتلته وملكته الأمر بعده .

وجرت بين الولد وأبيه مبارزة عنيفة انتهت بأسر غريب لابنه مراد شاه ، وهما لا يعلمان من أمر صلتها شيئاً .

ثم تجلس غريبٌ في خيمته ، وأمر أن يحضر مراد شاه بين يديه ، فلما حضر سأله : كيف تجسر على قتال الملوك وأنت لا تزال حدثاً ؟ ! فقال مراد شاه : إني معذورٌ با سيدي ، فقد خرجت أثار لأبي وأمي من تجلدي سابور ملك العجم ، فقد أمر بقتل أمي فسلمت وأمر بقتل أبي ، ولا أدري أسلم من القتل كأبي أم لا ؟ فقال غريبٌ : ومن أبوك وأمك ؟

فقال : أبي غريب ملك العراق ، وأمي فخر تاج بنت سابور ملك العجم ، وهي جالسة في خيمتي .

فأطرق غريبٌ إطرقة كأنه قد غشى عليه ، ثم التفت إلى أعوانه وقال :

فكوا القيود عن ابني ، وفلذة كبدي ؛ ثم أجلسه بجانبه وقال : أيمكنك أن تأتيني بأهلك فخر تاج ؟ قال : نعم .

ونهب قائماً فبلّغها في طرفة عين : وعرفها قصة أبيه . فقرحت .
وقامت مُسرعة .

وفي خيمة غريب التقى الولد بأبيه ، والزوجُ بزوجته : بعد اليأس
والأمد البعيد . ثم آمن جميعهم وآمنت جنود مراد شاه .
ثم أحضر غريبُ الملك سابور وابنه : وعرض عليهما الإيمان ،
فأعرضا عنه ، فقتلهما غريب . وأجلس ابنه مراد شاه على عرش جده .
وبعث غريبُ عمه الدامغ ملكاً على العراق ، وأقام هو مع ابنه حتى
جاءهم هازم اللذات وسبحان من يرث الأرض ومن عليها .



علاء الدين والمصباح العجيب

١

في مدينة من مدن الصين العظيمة كان يسكن خياطٌ يدعى مصطفى، وكان رجلاً رقيقَ الحال، قليل المال، فقيراً، يعيش عيشةً ضئلاً؛ وكان ما يكسبه في صناعته كل يوم لا يكاد يكفي حاجاته الضرورية، ولا يستطيع أن يشتري به ما يسدُّ حاجة أسرته مع أن الأسرة كانت قليلة العدد، فلم يكن له غير زوجة وولد واحد، اسمه علاء الدين.

وكان علاء الدين كسلاناً مهملاً، لا يعنيه أمرٌ، ولا يشغله شغلٌ؛ وكان غلاماً عصياً، حاد المزاج؛ لا يأبه بأوامر والديه، ولا يقيم لنواهيهما وزناً. يخرج كل صباح، ويقضي اليوم كله في

اللعب واللهو مع لداته فى الشوارع والميادين العامة ولا يعودُ إلى البيت ،
ولا يفكر فى أهله إلا حينَ يجوعُ !

ولما بلغ السن التى يتعلمُ فيها الغلمانُ صناعةً ، أخذَه أبوه إلى
دكانه ، وبدأ يعلمه صناعةَ الخياطة ، ولكنها لم تجدُ فى نفس الصبي
مكانةً ، أو ميلاً إليها ، وكان يساقُ إلى تعليمها سوقاً ، وكان ينتهزُ
فرصةَ ترك والده الدكانَ لشأن من شؤنه ويفر إلى حيثُ ياتى بقرناء
السوء ، ويقضى بقيةَ اليوم فى العبث كعادته .

وحاول والده إصلاحه باللين تارةً وبالعرف تارةً أخرى ، ولكن
ذهبت مجهوداته أدراج الرياح . فحز ذلك فى نفسه وزاد فى همه ، وظل
يفكرُ فى حالة ابنه الوحيد حتى برح به الهمُّ ، فاعتلت صحتهُ ، ولم يكتب
اللهُ له الشفاءَ ، فمات بعد بضعة شهور من مرضه ، ذقت فى أثناءها
زوجه كثيراً من الضيق والعنت وشظف العيش وسوء الحال .

وبعد أن مات الوالدُ أطلق علاء الدين لنفسه العابثة المستهترة العنان ،
وعاد إلى الاختلاط بقرنائه من إخوان السوء ، ولم يعدُ يذهبُ إلى دكان
أبيه ، فاضطرت الأم المسكينةُ أن تعملَ لتكسبَ قوتها وقوت ذلك
الولد العاق المستهتر !

وظلت الأم تعملُ وتكدحُ ، وظل الزمنُ يمر حتى كانت سن
علاء الدين خمس عشرة سنة ، ولكنه لم يعتبر ولم يرعو ، ولم ينجعل
من أن أمه هى التى تعملُ لتحصلَ له رزقه ، وهى التى تطعمه وتكسوه .
وبينما كان يلعبُ ذات يوم فى شارع من شوارع المدينة كعادته

مع أمثاله من الصبية العابثين المستهترين - مر بهم رجل "غريب" ، فما
كاد يلمحه حتى وقف ، ثم اقترب منه ، وتفرس فيه .

وكان هذا الغريب ساحراً من السحرة الراسخين في العلم ، وكان قد
هبط على بلاد الصين منذُ يومين بعد سفر طويل ، ورحلة شاقة مضية ،
قطع فيها المسافة بين المغرب الأقصى وتلك المدينة التي يعيش فيها علاءُ
الدين لأمر يبتغيه في الصين ، ولما أيقن أن ملامح علاء الدين ودله
وشكله تنطبقُ على صفات الغلام الذي لا بد له من الاستعانة به والاعتماد
عليه في عمله الذي جاء من أجله من بلاد بعيدة متكبدًا سفرَ آلاف
الأميال ، أخذ الساحرُ المغربي يسأل بعضَ لدات علاء الدين عن
اسمه ، واسم أبيه ، وصناعته ، وأسرته ، وما يعرف عنها .

فعل ذلك كله من غير أن يثيرَ نحوه ريبة ، أو يفطنَ إليه
علاء الدين . ولما عرف ما يريدُ عن علاء الدين نحا نحوه ، وسلم عليه
بشوق ، ثم انتحى به جانباً وقال له : أكان أبوك يدعى مصطفى الحياط
حقاً ؟ ! !

فقال علاء الدين :

أجل يا سيدى ! ولكنه مات منذُ سنين .

فلما سمع الساحرُ الماكرُ ذلك ، احتضنَ علاءَ الدين ،
وأجهشَ في البكاء ، وأخذ يقبله ، ويضمه إلى صدره ، ويربتُ على
كتفيه . . . ! !

فدهشَ علاء الدين ، وحاولَ الإفلاتَ منه ، ولكن الساحر

قال له : يا بني ، لا تعجب مما فعلتُ ؛ فأنت ابن أخي ؛ وإني عمك .
 أما عن الصين . . . فقد هجرتها قبل ولادتك ، وكان الشوقُ يعاودني
 كثيراً لرؤية أخي ، فحضرتُ وصادفتك ! لقد عرفتُك يا بني من أول
 نظرة لما فيك من الشبه القوي بأبيك ، ولكن داخلني الشكُ ، لأن الناس
 تتشابه ؛ فلما سألتُ إخوانك ، وعلمتُ منهم أنك ابنُ مصطفى أخي
 عرفتُ أن فراستي صدقتُ ، وفرحتُ للقائك . وزاد شوقي إلى رؤية
 أبيك ، ولكن الدهر الغادرَ حرمني من أمنية عزيزة سافرت من أجلها
 آلاف الأميال ، ولكن اللهَ جل جلالهُ خلقك صورةً من أبيك ،
 لأرى الماضى الحبيبَ ، وأباك العزيزَ كلما نظرتُ إليك !

ثم وضع يده في جيبه وأخرج حنفيةَ دراهمَ ووضعها في يد علاء الدين
 وقال له :

«عد الآنَ إلى أهلك . وأخبرها أنني سأزورها غداً لأرى البيتَ الذي
 كان يسكنه أخي . فتعاودني ذكرى أيام الصبا التي كنا فيها لا نفرق
 إلا قليلاً .

وطار علاءُ الدين إلى أمه فرحاً بما أعطاهُ عمه المزعوم من نقود .
 وقال لها : أماه . . . ألى عم ؟ ! !

فقالت أمه : لا يا بني ؛ ليس لك عم ولا خال !

فقال علاءُ الدين :

كيف يكونُ ذلك وقد التقيتُ منذ دقائقَ برجل ، قبلني عند ما
 سألتني عن اسم أبي وأخبرته به ، ثم بكى ، وأعطاني هذه النقودَ في يدي ،

وقال لى : إنه عمى ، وإنه غادرَ البلادَ منذُ سنين ، وقبلَ أن يتزوجَ والدى بك ، وحملنى السلامَ إليك ، ووعد بزيارتنا ليزى المكانَ الذى كان يسكنه والدى ، والذى لفظ أنفاسه الأخيرة فيه .

فقالت الأمُّ وقد تماكها الدهشُ :

إننى واثقةٌ من أنك لا عم لك ولا خال !

وفى اليوم التالى التقى الساحرُ بعلاء الدين ، وكان يلعبُ مع رفقاته فناداه ، وسلم عليه بشوق وحنان ، وأعطاه دينارين ، وقال له : اذهبْ بهذين الدينارين إلى أمك ، وأخبرها أنى آت لزيارتها الليلة ، لأنناولَ طعامَ العشاء معكما . ثم طلب منه أن يدلّه على البيت حتى لا يضل الطريق إليه .

سار علاءُ الدين إلى البيت ، وبجانبه عمه المزعومُ ، حتى اقتربا منه ، وأشار إليه علاءُ الدين . فرجع العمُّ ، وسار ابنُ الأخ إلى البيت ودخل على والدته ، وأعطاهما الدينارين ، وقص عليها القصةَ .

فقالت الأم لابنها :

إنى أعجبُ لهذا الرجل ، وإن الشك ليساورنى أنه ليس عمك ، وأنه يريدُ بك أمراً ، لأن أباك لم يذكر لى قط أنه كان له أخٌ على حين أنه كان يذكرُ أباه وأمه ، ويقص على بعضَ الزوادر التى حدثت له مع أحدهما أو كليهما فى صباه ؛ وقد يكونُ شكى لا أساس له ، لأننا فقراء ، وليس لنا ما يطمعُ فيه هذا الرجلُ ؛ فلمنتوكل على الله ، ومن توكل على الله كفاهُ شرورَ الناس .

وخرجت من البيت ، واشترت ما تحتاج إليه من لحم وخضر وفاكهة ،
ثم اقترضت قدراً وعدداً من الصحف والأواني الأخرى ، وشرعت تطهى
الطعام .

ولما انتهت من إعداد العشاء قالت لعلاء الدين :

لم يأت الضيفُ ، وأخشى أن يكون قد ضل الطريقَ ، فاذهب
وابحث عنه . وأحضره لئرى ما يكونُ ، فلعله يكونُ سبباً فى إراحتى من
العناء الذى أنا فيه .

وبما كادت تتم حديثها حتى دق الساحرُ بابَ الدار ، فأسرعَ
علاءُ الدين إلى فتحه ، فرأى عمه بالباب ، فأذن له بالدخول فدخل
يحمل أصنافاً من الفواكه ، وأسرعَ علاءُ الدين إلى عمه المزعوم ، وحمل
منه الفاكهة التى لم يذوقها من زمان ، وأسرعَ العم إلى أم علاء الدين
وسلم عليها باحترام وأدب ، وأخذ يبكى على موت أخيه ، فهاجتُ هموم
الأم وبكت أيضاً ؛ وبعد أن بكيا ما شاء أن يبكيا ، سكتما عن البكاء ،
ثم جلسا يتحدثان .

قال الرجل : يا أختاه ؛ لا تعجبي من أننى لم أرك ، أو أنك لم
ترينى من قبلُ ؛ وقد يكون أخى لم يحدثك عني ، لأننى غادرتُ الوطنَ
منذُ أربعين سنةً ، بعد خلاف شديد وقع بينى وبين شقيقى ، واللهُ
يعلمُ أنى كنتُ الظالم المعتدى ؛ وأخشى أن يكون أخى لم ينسَ إساءتى
له ، فمات وهو غضبان على . . . ! وقد سافرتُ إلى بلاد الهند ، وفارسَ
والعراق . وجزيرة العرب . وسوريا ، ومصر . وكنت أمكثُ فى كل قطر

من هذه الأقطار بضع سنين ، ثم أغادره إلى غير ، بعد أن أكون قد
اختلطت بأهله وناسه ، وزاولت عملاً من الأعمال المربحة المثمرة ،
وكونت ثروة طيبة . ومكثت في مصر عشر سنين ، ثم تركتها وسافرت
إلى المغرب الأقصى ، حيث استوطنت ، وأثريت ؛ ولكن نازعتني إلى
الوطن نفسي ، واشتقت إلى أهلي ووطني ، فبعث كل ما أملك ،
ورحلت إلى الوطن العزيز ، وكان مما حز في نفسي ، وأثار لواعج همي
وفاة أخي ؛ ولكن الذي خفف عني بعض ما أجد من اللوعة والألم
أنى وجدت أخي في ابن أخي ؛ ومن أنجب ابناً مثل علاء الدين لم يمت .
ولما رأى الساحر المغربي أن أم علاء الدين خدعت بحديثه ، وتأثرت
أبما تأثير عند ذكر زوجها ؛ غير مجرى الحديث ، فالتفت إلى علاء الدين
وسأله :

ما صناعتك التي تكسب منها رزقك يا ابن أخي ؟ ! !
فلم يجب علاء الدين ، بل أطرق ؛ وأجابت والدته بقولها :
إن علاء الدين عاطل ، لا عمل له . . . ! إن أباه حاول بكل
ما أوتي من حكمة وقوة أن يعلمه صنعة الحياطة ولكنه لم يفلح ؛ ذهب
مجهوده هباء . ومنذ وفاة والده لم يعمل شيئاً نافعاً على الرغم من توسلاتي
إليه ونصائحي الكثيرة له ؛ وعلى الرغم من أننا نعاني ما نعاني من أنواع
البؤس ، وصنوف الشقاء ؛ حتى اضطررت إلى أن أعمل وأكده لأحصل
على ما أقوت به نفسي ويأكل هو من جانبي ؛ وكل ما يصنعه هو
اللعب مع قرناء السوء في الطرقات العامة كما رأيته أول مرة . وإني عازمة

على طرده من البيت إذا لم يقلع عن هذا المسلك الشائن ، فعسى أن يضطره ذلك للعمل على كسب قوته .

وبعد أن أتمت أم علاء الدين حديثها انفجرت باكية ، وظلت تنتحب وتشهق حتى أوشكت أن يغمى عليها .

فتأثر الساحر ، وقال لعلاء الدين :

يا بن أخى ؛ إن مسلكك هذا شائن ، ولا يليق بك . لا بد أن تفكر فى وسيلة لتساعد نفسك وتعمل أملك ، وإن الصناعات لكثيرة ، فقد يكون ميلك الطبيعى إلى غير صناعة والدك ، وإنى أعد أن أسعى فى مساعدتك ، وأعمل على تدبير عمل شريف لك ؛ فإياك واللهو يا بنى ، والبس لباس الجدد ، وانظر إلى الحياة نظرة الرجل المسئول عن نفسه وعن أمه وعن ذكرى أبيه وعائلته ؛ وإذا كنت لا تريد أن تتعلم صناعة فإننى مؤجر لك دكاناً ، ومعه لك بكل أنواع السلع التجارية من منسوجات حريرية وتباية . . . ! فأخبرنى بصراحة عن رأيك فى اقتراحى هذا ، وكن واثقاً من أننى مستعد لمساعدتك فى كل ما ترغب وتريد .

ولقد لى اقتراح الساحر هوى فى نفس علاء الدين الذى كان يبغض العمل وقال له : إننى أميل بطبيعتى إلى هذا النوع من العمل الذى اقترحته ، وإنى أشكرك يا عمى لعطفك ، وسوف لا أنسى لك هذا الفضل العظيم مدى الحياة .

فقال المغربى : حسناً ؛ سأصحبك غداً إلى السوق ، وأشتري لك

ملابس قيمةً لا تقل عن ملابس أكبر التجار في المدينة ، ومن ثم تأخذ في إعداد المحل التجاري .

أما الأم فإنها بعد هذا العطف السابع على ابنها ، احى من نفسها ما كان يساورها من شك في أن الغريب عم لابنها ، واغرورقت عينها بدموع الفرح والسرور ، وتقدمت إليه ، وشكرت له نياته الحسنة ، وأعظمت ما تبرع به من المساعدة الكريمة لابن أخيه .

ثم وجهت الكلام لابنها تحضه على أن يكون خالiquاً بنسبته إلى هذا العم الكريم .

ثم قامت وأعدت المائدة ، ودعت العم والابن لتناول طعام العشاء ، وفي أثناؤه تجاذبوا أطراف الحديث من قديم وحديث .
ولما انتهى العشاء انصرف العم .

٢

وجاء الساحر في اليوم الثاني : واصطحب علاء الدين إلى أكثر من متجر في المدينة لبيع الملابس المختلفة . وطلب من علاء الدين أن يختار ما يحلو له . . . واختار علاء الدين ، ودفع العم الثمن .
ولبس علاء الدين الملابس الجديدة ، فانشرح صدره ، وشكر عمه الذي قال له :

الآن وقد أوشكت أن تكون من زمرة التجار فينبغي أن تختلط

بالتجار لتعرف منهم طرق التجارة وشؤونها المختلفة .
ثم أخذ يطوفُ به على أكبر المساجد وأفخمها ، وعلى الفنادق
الكبيرة التي ينزل بها أعظم التجار ، وكان خاتمة مطافه قصرُ السلطان ،
ثم عاد به إلى المنزل الذي يقيم فيه ، وأعد وليمةً دعا إليها التجار الذين
تعرف بهم ليقدم ابن أخيه المزعوم لهم .

ولقد ظلت هذه الوليمةُ إلى ما بعد منتصف الليل ، ثم انصرف
التجارُ ، واستأذن علاء الدين في الانصراف ، ولكن عمه لم يتركه
يذهبُ منفرداً ، بل رافقه إلى بيته . ولما وصلا وشاهدت الأم ابناً في
الملابس الفاخرة ، وفي زى التجار لم تستطع أن تضغط عواطفها من شدة
الفرح ، واستخفها السرورُ ، فأطلقت في الهواء زغرودةً عاليةً ، دوت
لها أركانُ البيت ، وسمعها الجيرانُ ، فجاءوا مسرعين يستطلعون الخبر ،
فلما رأوا ما عليه علاءُ الدين من سمت التجار أقبلوا عليها يهتفونها بما صار
إليه ابنها من حسن الحال .

وبعد أن انصرف الناسُ أقبلت على العم تشكر له حسن صنيعه .
وفي صباح اليوم الثالث جاء الساحرُ . ودعا علاء الدين إلى مرافقته
ليقضيا سحابةَ اليوم متزهين بين المروج الخضراء في الريف الجميل ،
وبذلك يكونُ قد رأى وعرف ما ينبغي لفتى مثله أن يرى ويعرف .

وبعد ذلك يشتري له المحل التجاري الذي وعده أن يشتريه له .
خرج علاءُ الدين مع هذا العم ؛ ولما وصلا إلى أطراف المدينة بدأ
يمران على قصور الأثرياء ؛ وكانا كلما مرا بقصر وشاهدا ما فيه من

حدائق غناء منسقة أحسن تنسيق قال المغربي لعلاء الدين :
أعجبك هذا القصر يا بني ؟ !

فيبدى علاء الدين إعجابه به ، ويطرى ما فيه من محاسن . وصارا
يبعدان من المدينة شيئاً فشيئاً ويوغلان في الريف .

وليم الساحر خطته أظهر التعب فقال لعلاء الدين :

تعال يا ابن أخي ، فلعلك لقيت من سيرنا نصباً مثلي .

ودخلا إحدى الحدائق وجلسا فيها ، ليستريحاً ثم أخرج الساحر من كيس
كان يحمله بعض الفطائر والفاكهة . وكان يحدثه في أثناء جلوسه عن
مستقبله الزاهر وعن سلوكه في المستقبل ؛ ويعظه بتغيير خطة حياته ،
وترك قراء السوء . وأن يتخذ أصحاباً جدداً من العقلاء والحازمين والمجدين
من الناس !

ولما أكلا حتى شبعوا . وشربا حتى رويوا - نهضوا واستأنفا سيرهما
حتى وصلا إلى واد بين جبلين قليلي الارتفاع .

هذا الوادي كان المكان الذي جاء إليه الساحر ونزل فيه أول
ما نزل حين مجيئه إلى بلاد الصين . ورحلته الطويلة الشاقة المرهقة
كانت من أجل هذا الوادي لأن فيه ما يسعى للحصول عليه !

فقال لعلاء الدين : إنني سأريك هنا عجائب ستشكرني بعد أن
أريك إياها ، فاجمع كل ما تجده من حطب لتوقد ناراً .

ووجد علاء الدين حطباً كثيراً عن يمينه وعن شماله ، فجمع منه
حزمة كبيرة ووضعها حيث أمره الساحر الذي أوقد فيها ناراً ، ثم

رأى فى النار نوعاً من البخور كان يحمله فى جراب معه ، وكان يتلو فى أثناء ذر البخور فى النار كلمات لم يفهمها علاء الدين .

ولم يتم الساحر كلماته حتى انفتحت الأرض أمامه ، وظهر حجرٌ مثبتٌ به حلقةٌ من النحاس ، ولقد ذعر علاء الدين ذعراً أوشك أن يفقده صوابه ، وهم بالحرب ولكن الساحر أمسك به وعاجله بالظمة على وجهه ، وصفعه على قفاه فسقط على الأرض !

ونهض علاء الدين وهو يرتعدُ خوفاً . والدهوع تنحدر من عينيه ، وقال للساحر : ماذا جنيتُ يا عمى حتى تضربنى هذه الضربة القاسية ؟ ! فقال الساحر فى حدة وغضب ، والشررُ يتطاير من عينيه : إننى فى منزلة والدك ، فلا ينبغى لك أن تعارضنى أو تراجعنى فى أمر من الأمور . وأدرك الساحر أنه تسرع فى إساءة معاملة علاء الدين ، فألان له القول ، وابتسم ابتسامةً صفراء مصطنعة . وقال له :

يابن أخى ؛ إننى أعملُ لمصلحتك وخيرك ، فلا تخالفنى فيما آمرُك به ، واعلم أن تحت هذا الحجر كهناً ، وأن فى جوف الكهف كنزاً مدفوناً ، والذي أعرفه أن هذا الكنز لك ، وستصبحُ بعد الاستيلاء عليه أغنى من أغنى ملك فى العالم . وأنت وحدك المأذون برفع هذا الحجر . ودخول الكهف . وأخذ الكنز . وإذا رام ذلك أحدٌ غيرك لا يفلح ؛ فافعل ما آمرُك به . وعلى إطاعتك إياى : وتنفيذ ما أشيرُ عليك به — تتوقفُ سعادتك وغناك . وسعادتى وغناى .

دهش علاء الدين لما رأى وسمع . ونسى ما أصابه من الساحر

الماكر ، وقال له : حسناً يا عمامه ! بماذا تأمرني ؟ إني سامعٌ ومطيعٌ .
 فاحتضن الساحرُ علاء الدين من شدة الفرح : وقبل جبينه ،
 وقال له :

إني أكادُ أطيّرُ فرحاً لما ينتظرنِي وينتظركُ من مالٍ وجاهٍ ، ولما تستجدُ
 من سعادةٍ وعزٍّ يا ابنَ أخي ؛ اقبض على هذه الحلقة ، وارفع هذا الحجرَ .
 فقال علاءُ الدين : يخيلُ إلي يا عمامه أني لا أطيقُ رفعه لأنه ضخمٌ
 وثقيلٌ ! ينبغي أن تساعدني حتى يمكنَ رفعه .
 فقال الساحرُ :

لا سبيلَ إلى مساعدتك : لأنني إذا مددتُ يدي إلى الحلقة خاب
 سعيك . اقبض على الحلقة ، وارفع الحجرَ ، فستجده سهلاً هيناً .
 ففعل علاءُ الدين ما أمره به الساحرُ ، ومد يده إلى الحلقة ، وجذب
 الحجرَ إليه ، فارتفع في يده بسهولةٍ أذهلته ، ووضعهُ جانباً .
 ولما رفع علاءُ الدين الحجرَ ظهرَ سلمٌ نازلٌ إلى كهفٍ على بعد
 مقداره أربع أقدامٍ هؤُودٍ إلى بابٍ .
 وقال الساحرُ لعلاء الدين :

اهبط في هذا السلمِ يا بني ، وافتح البابَ ، ثم ادخلْ وستجدُ أمامك
 بهواً مقسماً إلى ثلاثِ ردهاتٍ واسعةٍ ، وفي كل ردهةٍ ستجدُ أربعةً
 أحواضٍ كبيرةٍ من النحاسِ مملوءةٍ بالذهبِ والفضةِ فلا تحاولِ الاقترابَ
 منها . وإذا ما دخلتِ الردهةَ الأولى فشمر ثيابك وامرُق منها إلى الثانية ،
 ثم إلى الثالثة من غير توقفٍ ، وحاذرُ أن تلمسَ أحواضَ الذهبِ والفضةِ

بيدك ، وأن تلمسها بشيائك ؛ لأنك إن لمستها بيدك أو مستها ثيابك ضعفت في الحال ، وانتابتك نوبة "عصبية" جعلتك لا تقدر على حمل شيء منها ؛ وفي آخر الردهة الثالثة باب ، إذا مرقت منه يوصلك إلى حديقة بها أشجارُ الفاكهة . وفيها من كل نوع زَوْجان ، محملة بالشمر الذي تكاد تنوءُ الأشجارُ بحمله . اخترق الحديقةَ تجدُ في نهايتها استراحةً في وسط إحدى حيطانها فجوةٌ بها مصباحٌ مضىءٌ . خذ المصباحَ وأطفئه . ثم اخلع فتيلته ، واطرحها على الأرض واسكب ما فيه من زيت وضعه في جيبك ، وأحضره لى . ولا تخف أن تلوث بقايا الزيت ثيابك لأنه ليس زيتاً حقيقياً ، ولأن المصباحَ يصبحُ جافاً بمجرد إفراغ الزيت منه . ولما انتهى الساحرُ الماكرُ من حديثه ، خلع خاتماً من أصبعه ، وأعطاه لعلاء الدين وقال له :

إن هذا خاتمٌ "مسحور" ، يحفظك من كل سوء ما دمتَ مُطيعاً لى ولا تعصى لى أمراً ، فسر يا بنى على بركة الله ، وليكن رائدك الإقدام والشجاعة ، وسوف نكون من أسعد الناس وأغناهم .

هبط علاءُ الدين في السلم ، وفتح الباب ، فوجد الردهات الثلاث كما وصفها الساحرُ ، واخترقها بحذر كما أوصاه ضناً بنفسه على الموت ، واخترق الحديقةَ من غير أن يلوى على شيء ، وتناول المصباحَ ، وأفرغ



علاء الدين في الكنز وقد وجد المصباح العجيب

زيتته ، ونزع فتيلته ورماها ، ووضع المصباح في جيبه ؛ ولكنه حين انحدر من الشرفة إلى الحديقة وقف فيها قليلاً ليلقى نظره على أشجارها وما فيها من ثمر وزهر ، فألفاها ذات ألوان عجيبة : فهي تحملُ زهراً أبيضَ ناصعاً ، أو أحمر قانياً ، أو أصفر فاقعاً ، أو بنفسجياً زاهياً ، أو أزرق أو أرجوانياً ، أما الأثمارُ فهي ذات أشكال وحجوم مختلفة ، تتدلى من فروع الأشجار ناضجةً مغريةً ؛ وهي في متناول اليد والفم .

ولكن علاء الدين لم ينتهم قيمة هذه الأزهار والأثمار العجيبة ، فهو لم يألَفْ هذا المنظرَ ولم تقع عينه على مثله من قبل . وكان أحب شيء لديه من كل هذا التين والعنب ، ومع ذلك فقد دفعه الفضولُ إلى قطف بعض الأزهار والثمار ، ووضعها في جيوب جلبابه ، وبين طيات ثيابه . وبعد أن حمل علاء الدين معه ثروة لا يعرف مقدارها اخترق الردهات الثلاث ، وسرعانَ ما وجدَ نفسه أمام الباب الخارجى حيث رأى الساحر المغربي في انتظاره على أحر من الجمر .

وبأن علاء الدين قد شعر بتعب شديد من جراء انفعالاته النفسية الشديدة التى نشأت من شعوره بالوحدة والوحشة ، وحذر الموت ، فقال للساحر بمجرد وصوله إلى السلم :

امدد إلى يدك يا عماء لتساعدنى فقد لقيتُ مما قمتُ به نصباً شديداً ، وتعباً مرهقاً ، ورجلاى تعجزان الآنَ عن حملى ، فخذ بيدى ، واجذبني إليك .

فصاح به الساحرُ المغربي : أعطنى المصباحَ أولاً ، فقد أصابك

بعض العنت والضيق ، وظهرت على وجهك صفرة الخوف !
فقال علاء الدين : لا أستطيع الآن ، وسأعطيك إياه عند صعودي إليك !
فأصر الساحر على أخذ المصباح قبل مد يده إليه ، وإعاقته على الخروج .

ولكن علاء الدين الذى كان قد ملأ جيوبه بالأثمار العجيبة ، لم يكن سهلاً عليه أن يخرج المصباح من جيبه ، لأن الثمار موضوعة فوق المصباح ، فلا يمكن إخراجه إلا بعد إخراج الثمار أولاً .

ظل الساحر على إصراره ألا يبين علاء الدين على الصمود إلا إذا سلمه المصباح ؛ وظل علاء الدين مصراً على ألا يسلم المصباح إلا بعد أن يخرج ، وأنهم الساحر أن المصباح صائر إليه ، فلا فرق بين أن يأخذه بعد صعوده أو قبائه وفي أخذ بعد صعوده اطمئناناً لنفسه ، وراحة لخطره . اشتد غضب الساحر من عناد علاء الدين ، وإصراره على رأيه . وفي ثورة غضبه رمى بعض البخور فى النار التى كانت لا تزال متقدة ؛ وتلا كلتين ؛ وأدار يده حول النار هورتين ؛ وما كاد يفعل ذلك حتى تحرك الحجر الذى كان يسد الفتحة العليا إلى مكانه فسدها ، ثم أهال عليه التراب كما كان من قبل ! .

لقد ظهر لعلاء الدين عند ذلك بوضوح أن هذا الرجل لم يكن عما له ، وتذكر شك والدته واعتقد أنه لم يكن إلا ساحراً كان يريد الخير لنفسه ، وتسخيره فى الوصول إلى ما يريد أن يصل إليه ، وإن أصابه فى سبيل ذلك شر عظيم ، ثم يغدر به ، ويتركه وحاله .

والحقيقة أن هذا الساحر الماكر عرف في كتب السحر التي يملكها خبر المصباح ، وعظيم نفعه وكبير فائدته ، وعرف أن من يستولى عليه تتفتح أمامه خزائن الأرض .

وعرف أنه موجود في الصين في بلدة كذا ، في مكان كذا ، وطريقة الحصول عليه تكون بفتح الكهف الذي في داخله المصباح .

وعرف أن الكهف لا يفتح إلا على يد غلام ذكرت أوصافه في الكتب ، وطابقت هذه الأوصاف أوصاف علاء الدين .

وعرف أن لا فائدة من المصباح إذا استولى عليه غصباً ، فلا بد أن يقدمه له الغلام الذي يفتح الكثر على يديه طوعية واختياراً .

ولهذا سر كثيراً حين رأى علاء الدين ، ورأى فيه الصفات التي ذكرت في كتب سحره فادعى أنه عمه ، وكان يأمل بما أغدق عليه من العطايا أن يكون أطوع له من بنانه .

وكان ينوى شراً بعلاء الدين بعد أن يأخذ المصباح حتى لا يذيع

سره ، ولا يشيع أمره بين الناس ؛ ولذلك صمم على أن يحبس علاء الدين

المسكين في الكهف الذي كان يعتقد أنه قبره إلى يوم القيامة . . . ولكن

خاب أمله بإصرار علاء الدين ألا يعطيه المصباح إلا بعد إخراجه ، ثم

بإرجاعه الحجر على الفتحة ، وإغلاقها ، وحبس علاء الدين في الكهف .

ولما أيقن الساحر أن لا أمل له في الكنز ، وخاب سعيه — رجع إلى

بلاد المغرب متجنباً الاقتراب من بلد علاء الدين ، لئلا يمر به أحد رآه

خارجاً مع علاء الدين فيسأله عن الغلام اليتيم ، فلا يستطيع أن يجيب .

أغلق الكهفُ على علاء الدين ، وعم المكانَ الظلامُ ، فذعر علاء الدين ذعراً شديداً ، وصاح من الخوف : ارفع الظلامَ عني يا عماه !
أخرجني من هذا السجن المظلم يا عماه ! إنني على استعداد لإعطائك المصباح .

ولكن صوتَ علاء الدين ذهب سدى ، فلم يسمعه أحدٌ ؛ فهبط في السلم عازماً أن يدخلَ إلى الحديقة حيث الضوءُ والاتساعُ والهواءُ والماءُ والأزهارُ والثمارُ ؛ فوجد البابَ الذي كان مفتوحاً بقوة السحر مقفلاً بأثره أيضاً ، فازداد خوفهُ وهلعهُ ، وارتفع صياحه ، ثم لم يلبث أن أدركه اليأسُ فجلس على إحدى درجات السلم منتظراً الموتَ إذا جاء أجله . وبدأ يضرب كفاً بكف ويصيحُ : لا حولَ ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! لم أعمل في دنياي شيئاً ، ولكن أُمي غضبانة على ، فهل يوقعني غضبها على في هذا الضيق ؟ ! !

وعزم في نفسه أنه لو تجاهُ الله لكان لها أطوع من بناتها .

وفي حركة من حركات يديه اللاشعورية لمست يده اليمنى الخاتم المسحورَ الذي وهبه له الساحرُ ، وكان يلبسه في بنصر يده اليسرى ، فظهر فجأةً عفريتٌ من الجن ، طويل كالنخلة ، بشعُ الحلقة ، ينبعث

من فمه دخانٌ ولهبٌ ، ويخرج من عينيه شررٌ ؛ وصاح صيحة زلزلت منها الأرضُ ، وقال :

ماذا تريد مني ؟ إني مستعدٌ لطاعتك وتلبية أوامرك ، إني خادمٌ كل من يملك الخاتمَ الذى فى يدك ، وأنا وأعوانى طوعٌ أمرك ، ورهن إشارةك ؛ فمرنى بما تريد .

ولو كان علاءُ الدين فى غير هذا المكان ، وفى غير هذا الوقت العصيب ، لتملكه الفزعُ وضاع صوابهُ وغاب عقلهُ عند رؤيته هذا المارد المائل ؛ ولكن ما كان فيه من يأس ملاً قلبه شجاعةً ، فقال له فى رباطة حأش ، ومن غير تردد :

كن من تكون ، فلتخرجنى من هذا المكان اللعين أولاً ، ثم نرى بعد ذلك ماذا نريد منك .

فما إن انتهى من كلامه حتى وجد نفسه فى المكان الذى كان ينتظره فيه الساحر ، فنظر يميناً وشمالاً فلم يجد أثراً للكهف ولا للحجر ذى الحلقة ، ولم يجد فيما حوله من الأرض ما يدل على حدوث انفلاق فيها أو انشقاق ، فسجدَ لله شكراً أن هياً له سبيلَ النجاة ، ثم نهض وسار إلى بيته مسرعاً .

ولما وصل إلى البيت ، وفتح له البابُ ، خر مغشياً عليه من شدة الجوع ، ومن أثر الجهود الذى بذله ، والأهوال التى مرت به ، والانفعالات النفسية التى انتابته . ولما أفاق من غشيته ، ورجع له عقله - نهض بمساعدة والدته التى كانت فى حالة يرثى لها لما حدث له من إغماء .

ولما سأله عن سبب غيبته قص عليها قصته من أولها إلى آخرها ؛
 فدعت على الساحر اللعين ، وصبت عليه اللعنات . وقالت له :
 إن قلبي كان يحدثنى بأنه خادعٌ مكار ؛ فاحمد الله القدير على
 أن نجاك من شره .

وقدمت الأم لعلاء الدين بعض الطعام ، فأكل ما استطاع أن
 يأكل ، ثم نام نوماً عميقاً لم ينفق منه إلا قبيل ظهر اليوم التالى . ولما
 أفاق شعر بجوع شديد ، فطلب من أمه أن تحضر له طعاماً ، لأن
 عصافير بطنه تزعزق من شدة الجوع .

فقالت أمه : وأسفاه يا بنى !! ليس فى البيت كسرة خبز أقدمها
 لك ، فقد أكلنا أمس كل ما فى البيت ، ولكن عندى غزلٌ قد صنعتُه
 اليوم ، وسأحمله إلى السوق لأبيعه وأشتري بثمره طعاماً لغدائك .
 فقال لها علاء الدين :

يا أماه ! لا داعى لبيع غزلك الآن ، ولكن أحضرى لى المصباح
 الذى أعطيتك إياه أمس ، وسأذهب أنا إلى السوق لأبيعه ، وأشتري بثمره
 طعاماً قد يكفيننا وجبتين ، وقد يكفيننا ثلاث وجبات .

أحضرت أم علاء الدين المصباح ، ونظرت إليه ، ثم قالت لعلاء الدين :
 إن هذا المصباح وسخٌ جداً ويحتاج إلى تنظيف ؛ ولو أننا أزلنا
 ما عليه من أوساخ لرغب فيه الشارون ، ولقدروه بثمر أعلى !

ثم جاءت الأم بشيء من الرمل والماء ، وجلست لتدعك المصباح
 وتنظفه ، ولكن ما كادت تضع قليلاً من الرمل عليه ، وتدعكه - حتى

ظهر أمامها فجأةً ماردٌ عظيمٌ الجثة ، بشع الحلقة ، قبيحُ المنظر ،
وقال لها بصوت كهزيم الرعد :

ماذا تريد مني ؟ إنني خادمك المطيع المستعد لتلبية جميع أوامرك ؛
ولو أمرت أن أزحزح جبلاً من مكانه لفعلتُ .

خرت أم علاء الدين مغشياً عليها من هول ما رأت ؛ أما علاء الدين
الذي سبق أن رأى هذا المنظرَ الرهيب في الكهف ، فلم يدهش ، ونهض
واختطف المصباح من أمه ، وقال للمارد: إني جائعٌ ، فأحضر لي طعاماً !
اختفى الجنى في الحال ، وعاد بعد دقائق معدودة يحمل صينيةً
من فضة عليها اثنا عشر طبقاً ، كل طبق مغطى بغطاء من المعدن نفسه ؛
وفي هذه الأطباق ما لذ وطاب من أصناف الطعام ، وفيها أنواعٌ مختلفة
من السمك واللحم والخضر مطهية طهيًا متقناً ، ومن أنواع الحلوى والفاكهة
أشكالٌ وألوانٌ .

وضع المارد الصينية على خوان ، واختفى .

فقام علاءُ الدين إلى أمه ، ونضحَ وجهها بالماء — لأن ذلك كله
حدث قبل أن تفيقَ من غشيتها ؛ ولقد ساعدت رائحةُ الطعام الشهى
على إنعاشها فأفاقت .

فقال علاءُ الدين لها : لا تراعى يا أماه ! انهضى وكنى واشربى ،
فأمامك ما يقوى قلبك ، ويشبع جوعى وجوعك ، وينعش جسمى
وجسمك .

فعجبت الأم حين رأت صينية الفضة ، وما عليها من أطباق فضية ،

وحين انبعثت منها رائحةُ الأطعمة الشهية التي تتوثبُ لها الأمعاءُ ،
وتتلمظُ الشفاهُ ، ويجرى الريقُ ، وقالت : لمن نحنُ مدينون بهذا الزاد
الكثير ، والكرم الوفير ؟ هل علم السلطانُ بحاجتنا وجوعنا فأخذتهُ
الشفقةُ بنا ، وتعطف علينا بهذا الخير الكثير ؟ ! !

قال علاء الدين : دعينا من هذا يا أماه ، فإن ما بك من جوع
لا يقل عما بي ، فلنجلسُ لنأكل حتى نكفَى ، وبعد ذلك أحدثك
حديثاً شجياً ستطربين له وتسرين ، وسأجيبك عن أى سؤال تسألينه .
وجلسا يأكلان بشهية المحروم الجوعان ؛ وُضع أمامه ألد الأطعمة
وأشهاها ؛ وكانت أم علاء الدين تنتقل ببصرها بين الصينية والأطباق
وما فيها من طعام مختلفة ألوانه وأنواعه .

أكل علاء الدين وأمه حتى شبعوا ، وأفرطا في الأكل حتى إذا جاء
وقتُ الظهر لم تكن لهما شهيةٌ للطعام ، وبقى منهما ما يكفى لوجبات
أخرى .

وبعد أن انتهينا ؛ حملت الأم بقية الطعام إلى المطبخ ، ثم جاءت
وجلست بجوار ابنها على أريكة قديمة كانت تملكها ، وقالت له :
الآن قصّ علىّ ما حدث في أثناء غشيتي بينك وبين هذا المارد
القبيع الحلقة البشع المنظر .

فقص عليها القصة ، وكانت دهشها لا تقل عن دهشها عند ما
رأت الجنى ماثلاً أمامها ؛ ثم قالت : وماذا نصنع الآن بهذا المارد
الجبار ؟ إننى لم أسمع قط طولَ حياتى من أى واحد من معارفى أنه رأى

عفريتاً من الجن ، فما السببُ في طلوع هذا الجنى ، ومخاطبته إياى بدلا من مخاطبته إياك ؟ ! وقد ظهر لك في الكهف من قبل .
فقال علاء الدين :

يا أماه ! إن الجنى الذى ظهر لك اليوم ليس هو الذى ظهر لى في الكهف ، لأن عفريتَ الكهف أخبرنى أنه خادمُ الخاتم الذى ألبسه في يدى هذه ، أما عفريتُ اليوم فقد سمعت أنه قال لنا : إنه خادم المصباح الذى كان بيدك ، ولعلك لم تسمعيه لأنك سقطت على الأرض مغشياً عليك حينَ ظهرَ لك .
فقالت له :

هل أفهمُ من قولك أن مصباحك كان السببَ في أن الجنى وجهَ الكلامِ لى ، ولم يوجهه إليك ؟ ! إذا كان الأمر كذلك فخذ هذا المصباحَ اللعينَ ، وأخفه عني ، وضعه في أى مكان تريد ، فإنى أخاف أن أمسه مرة أخرى فيظهر لى عفريتهُ فأموت من الفزع . . . ! !
وفي اليوم التالى فرغ ما كان عندهم من طعام ، فلم يستدع أحد الجنين ، ويأمره بإحضار طعام لهم إطاعةً لأمر والدته .

وأخذ طبقةً من الأطباق الفضية ، ووضعها بين طيات ثيابه ، وخرج في الصباح الباكر إلى السوق ابييعة ؛ فالتقى بدلال يهودى ، فأخذه جانباً وأخرج له الطبقَ ، وعرضه عليه ليشتريه ، أو ليكون واسطةً في بيعه .
ففحصه اليهودى الماكر فحسباً دقيقاً ، فعرف حقيقةً ، فسأل جلاء الدين :

بكم تبيعه ؟

فقال له علاءُ الدين — وكان لم يسبق له أن باع أو اشترى مثل هذا الصنف من السلع : إني أثقُ في تقديرك .

فدهش اليهودى من حرص علاء الدين ، وخاف أن يكونَ يعرف قيمة بضاعته ؛ فأخرج من كيسه ديناراً . وأعطاه لعلاء الدين وهو يعلم أنه سدس معشار ثمنه . فأخذ علاءُ الدين الدينارَ بشغف . وانصرف مسرعاً ؛ فندم اليهودى لعدم استفادته استفادةً كاملةً من جهله ، وكان على وشك أن يجرى وراء علاء الدين ليسترد منه بعضَ ما دفع من ثمن ، لولا أن علاءَ الدين كان قد وصل إلى مكان تبين لليهودى أنه يصعبُ عليه اللحاقُ به .

وقبل أن يعودَ علاءُ الدين إلى داره مر بنخباز ، فاشترى منه خبزاً وفطائرَ ، وأعطى أمه ما تبقى من الدينار لتشتري حاجات البيت الأخرى . ولما انتهى الدينارُ أخذ علاءُ الدين طبقاً ثانياً ، وذهب به إلى السوق ، فرآه اليهودى ، وحاول أن يساومه على ثمن أقل من دينار ، فرفض علاءُ الدين ، وأوشك أن يبحثَ عن مشترٍ آخر ؛ ولكن اليهودى خشى أن يفلتَ من يده ، فأعطاه الدينارَ ؛ وهكذا كان علاء الدين كلما صرف ثمنَ طبق باع طبقاً آخرَ ، حتى باع الاثنى عشرَ طبقاً لليهودى نفسه . وكان اليهودى تعاوده الرغبةُ عند كل صَفقة أن يهم بمفاوضة علاء الدين في تخفيض ثمنها ، ولكن خونه من كشف قيمة الأطباق . أو حرمانه منها — كان يشنيه عن عزمه !

ثم لم يلبث علاء الدين أن باع الصينية التي كانت ترن عشرة أطباق ، ولما صرف ثمنها ، ومكث يوماً أو بعض يوم لا يجد ما يقتات به - تذكر المصباح ؛ فجاء به ، وضغط على المكان الذي بدأت والدته بتنظيفه منه . فأحسن كأن السقف ينشق ، وظهر الجنى ، وصاح صيحته المعهودة .

فقال له علاء الدين :

إني جائع ، وإن أمى جائعة ، فأحضر لى ولها طعاماً شهيئاً لنأكله .
فاختفى الجنى ، ثم ظهر بعد دقائق غاملاً صينيةً وعليها اثنا عشر طبقاً كما فعل أول مرة ، ووضعها أمام علاء الدين ، وانصرف .
ولما نفذ الطعام أخذ علاء الدين طبقاً كما فعل أول مرة ، وذهب به إلى السوق ، ولحسن حظه . وسوء حظ اليهودى رآه أحد الصاغة الذين كانوا يشاهدونه يتردد على اليهودى من قبل ، وناداه ، وقال له :
يخيلُ إلى أنك آت لتبيع شيئاً لليهودى ، فقد رأيتكما تَخْلوان إلى أنفسكما مرات عدة ؛ وإني أخاف أن يخذلك ، إني أعرف فيه الخديعة والدهاء والمكر . إني أعطيك ثمن ما تريد بيعه كاملاً غير منقوص ، وإذا كنت لا أريد أن أشتري بضاعتك أرشدتك إلى من يشتريها منك بأمانة .

فأخرج علاء الدين الطبق من بين طيات ثيابه ، وعرضه على الصائغ ، فما كاد يرى الطبق حتى عرف أنه فضة خالصة ، وأنه من أحسن أنواع الفضة .

وسأله عما إذا كان قد باع مثله لليهودى ؛ فقال له علاء الدين :
 أجل ! لقد بعْتُ لليهودى اثنى عشر طبقاً مثله كل طبق بدينار .
 فصاح الصائغ : يا له من نذل ! ولكن يا بنى — ما مضى فات ،
 ولا يمكن استرجاعه وسترى مقداراً ما سلبه منك اليهودى ظلماً وخداعاً
 بعد أن تقدر ثمنه الحقيقى . ثم وضع الصائغُ الطبق فى ميزان دقيق
 الصنع ، ولما عرف مقدار وزنه قال له :

إن ثمنَ هذا الطبق ستون ديناراً ، وإنى مستعدٌ لدفعها فوراً .
 فشكر له علاءُ الدين أمانته ، واستقامته ، وصدقَ معاملته ، ولم
 يذهب لصائغ غيره بعد ذلك .

وعلى الرغم من أن علاءَ الدين كان يستطيعُ أن يحصل على ثروة
 ضخمة من خادم المصباح لو أرادَ ، فإنه لم يفعل ، وظل هو وأمه
 يعيشان عيشةَ الكفاف التى كانا يعيشانها من قبل ، بما كان يأخذه ثمناً
 للأطباق والصينية .

وفى هذه الفترة كان علاءُ الدين يختلف إلى حى الصاغة ، ويختلط
 بالصاغة ، ويشاهد سلعهم وبضاعتهم المختلفة ، وعرف أسماءَ الأحجار
 الكريمة وصفاتها وخواصها وأثمانها ، فوضح له بعد ذلك أن ما اقتطفه من
 فواكه على أشجار الكهف الذى أحضر منه المصباح لم يكن إلا
 أحجاراً كريمةً ليس لها مثالٌ فى السوق ، وأنها ثروة كبيرة ، وأخذوا
 بالأحوط ، وحذروا من إثارة ريب الناس وشكوكهم — لم يخبر أحداً بها
 حتى والدته ، فقد أخفى خبرها عنها .

وبينما كان علاء الدين يسير في أحد شوارع المدينة في يوم من الأيام سمع منادياً ينادى أصحاب المحال التجارية ، ويأمرهم أن يغلقوا متاجرهم ، وينادى السابلة أن يسارعوا إلى منازلهم ، وأن يغلقوا الأبواب عليهم لأن الأميرة بدر البدور بنت السلطان تخرج اليوم إلى الحمام . فحذار أن ترى مطالاً من نافذة . أو واقفاً بباب أو ماراً في طريق . في أثناء ذهابها أو إيابها ، والحاضر يعلم الغائب . . . !

ولقد أثار هذا النداء فضول علاء الدين ، وبعث فيه الشوق إلى رؤية الأميرة بدر البدور ، فذهب إلى الحمام . وتوارى خلف الباب ليراها عند دخولها .

وما إن وصل علاء الدين إلى الحمام ، وأخذ مكانه وراء الباب من غير أن يراه أحد حتى سمع جلبة وضوضاء ، ثم لم يلبث أن رأى الأميرة تدخل الحمام ، يحف بها عدد كبير من الوصيفات والحواري عن اليمين وعن الشمال ، ومن الأمام والخلف ، ولما دخلت الحمام أزاحت عن وجهها النقاب ، فأتيحت لعلاء الدين الفرصة لرؤيتها من قرب .

وكانت الأميرة مشهورة بجمالها البارع ، فعيناها واسعتان نجلاوان ، ينبعث منهما بريق "أخاذ" ، وابتسامتها ساحرة ، وفيها صغير جميل ، وأنفها أقى دقيق ، وشفثاها رقيقتان حمراوان ، وقوامها ممشوق . فلا عجب

أن يسحر جمالها علاء الدين الذى لم يرَ مثلاً هذا الجمال الفتان من قبل .
وما إن دخلت الأميرة الحمامَ حتى تسلى علاء الدين من
مكانه ، وأسرع إلى بيته . ولما رآته والدته رآته مطرقاً يبدو عليه الاضطراب
وعدم الاستقرار ، ورأت على وجهه أمارات التفكير ، ورأت كأن
مسحابةً من الحزن والهَم تطوفُ في خياله ، سألته :

ما بالك يا بنى ؛ هل أصابك مرضٌ ؟ !

فقص على والدته قصته مع بدر البدور ، وختمها بقوله :

لقد ملكتُ على حسى وعقلى وتفكيرى ، فإذا نطقتُ فهى على
لسانى ، وإذا سكوت فهى فى خاطرى ، وإني عزمت على أن أطلبَ
يدها من السلطان .

فأصغت أم علاء الدين إلى ولدها مستعجبةً مشدوهةً ، وأخذت
تشك فى سلامة عقله ، ولما وصل فى حديثه إلى خطبة الأميرة . ضحكت
ضحكة عالية فى ثناياها سخرية منه ، وحزنٌ عليه ، وشفقة به ، وقالت :
وأسفاه يا بنى ! ! ما الذى أصابك ؟ ! هل أنت محموم ؟ !
إنك تهذى وتهرف بما لا تعرف ، إنك لا تقدرُ عواقبَ ما تقول . هل
عُجنتَ يا بنى ؟ ! !

فقال لها علاء الدين :

أو كذلك يا أمى ؟ إننى لست مجنوناً ، ولكنى مالك لكامل قواى
العقلية ، ولقد كنتُ أتوقع أن ترمينى بالحماقة والإسراف فى القول ؛ ولكنى
أكرر لك أننى عازمٌ على طلب يد الأميرة من السلطان ، وسوف لا أنى

في السعى لتحقيق ذلك من غير أن يتطرق اليأس^١ إلى نفسي ؛ إن لدى
خدم الخاتم والمصباح وأنت تعلمين قوتهم واقتدارهم ، وإن لدى سرّاً
أريد أن أخبرك به :

إن قطع الزجاج التي حملتها معي من شجر الكهف المسحور ليست
بقطع من الزجاج وليست أنواعاً من الزهر ، وصنوفاً من الثمر كما كنا
نتصور ؛ إنها أحجار كريمة غالية الثمن ، وتصلح لأعظم ملوك العالم ،
وإن جميع الأحجار الكريمة الموجودة في قصر بغداد ، وفي محال بيع
الجواهر — لا تقاس^٢ بما عندي من جواهر في الحجم والجمال والنقاء ؛
وإنني واثق^٣ من أن تقديم بعضها هدية للملك سينيلنا عطف الملك ورضاه ؛
وإن لديك صينية كبيرة تصلح لوضعها فيها . فأحضريها ، ولنصف
الأحجار الكريمة صفاً فنياً لا تتنافر^٤ معه ألوانها البراقة المختلفة !

ولكن لمعان الجواهر وبريقها الأخاذ ، وتعدد ألوانها ، واختلاف
أشكالها — بهر الأم وابنها ؛ فأصابهما الدهول^٥ ، وأخذتهما الدهشة^٦ .
أفاقت الأم ، وملكت حواسها ، وعاد إليها عقلها ، وهدأت أعصابها
وفكرت فيما رأت ، فعرفته ثروة طائلة ؛ فاطمأن قلبها ، وتشجعت ،
ووعدت ابنها أن تحمل الصينية بما عليها إلى السلطان .

استيقظ علاء الدين في اليوم التالي قبل طلوع الفجر ، وأيقظ
والدته ، وحثها على الذهاب إلى قصر السلطان ، فأجابت الأم ابنها
إلى رغبته ، ولقت الصينية بما عليها من الجواهر في فوطة من حرير دقيق
الصنع ، وحملتها ، وسارت إلى قصر السلطان .

وعلى الرغم من كثرة أهباب الحاجات والظلمات المتجمعين أمام القصر تمكنت من الدخول ، وسار بها الحجابُ إلى بهو متسع لم تر مثله عينا من قبل في الفخامة والجمال ، وجودة النقش وحسن التنسيق ، وأدخلت على السلطان - وهو في مجلسه - فوقفت عن يمينه وهو ينظرُ في قضايا الناس وظلاماتهم .

ونودي على أناس كثيرين بترتيب قضاياهم ؛ وحققت قضاياهم ، وفصل فيها . ولما انتهت الجلسةُ ، انصرف الناسُ ، وغادر الملكُ البهو يرافقه الوزيرُ ويحف به الحراسُ .

فعدت الأم أدراجها ، فألفت ابنها ينتظرها وقد أوشك صبره أن يتفد ؛ فخف إليها في شغف ولهفة ، وسألها عما حدث ؛ فقالت له : لقد ذهبت يا بني إلى قصر السلطان ، ورأيتُهُ في مجلس قضائه ، وإنى أعتقد اعتقاداً جازماً أنه رأى كما رأيته لأننى كنتُ واقفةً على مقربة منه ؛ ولقد أشفقتُ على السلطان من كثرة أعماله ، وعجبتُ من جميل صبره ؛ ورأيتُهُ مجهوداً مكثوداً في آخر الجلسة ، وقد كان التعبُ بادياً عليه حين نهض فجأةً وغادر البهو من غير أن يفتن إلى ! ولقد هممت أن أكلمه ولكنه أسرع في الذهاب ؛ ولقد كنت متعبةً جداً من طول مكثي ؛ ولذلك لم أفكر في استيقافه أو اعتراض طريقه ، فما كاد ينفذ مجلسُ قضائه حتى عدت إليك ومع ذلك فلم يحدث ضررٌ ، فإنى سأذهب إليه غداً ، فعسى أن يكونَ في غد أقل انشغالا بقضاء حاجات الناس منه في هذا اليوم .

وفي صباح اليوم التالي ذهبت الأم إلى قصر السلطان حاملة الهدية ، ولكنها لم تكن في هذه المرة أحسنَ حظاً منها في اليوم السابق .
وأعادت الكرة ست مرات ، وفي كل مرة كانت تجتهد أن تقفَ بحيث يراها السلطانُ ، لعله يحدثها ، أو يسألُ عنها ، ولكنه لم يفعل .
وفي اليوم السادس حينما عادَ السلطانُ إلى مقصوره بعد فصله في قضايا الناس ، قال لوزيره الأكبر :

لقد رأيت امرأةً تواظب على الحجى إلى مجلس القضاء ، وتقف على مقربة منى ، وهى تحمل شيئاً ملفوفاً ، ولاهتبرحُ المكانَ حتى ينتهى المجلسُ ؛ فإذا انتهى عادت أدراجها من غير أن تعرضَ قضيةً . أو تنشر ظلاماً . فما شأنها ؟ !

فأجاب الوزير بأنه لا يعرف من أمرها شيئاً .
فقال السلطانُ : إذا جاءت هذه المرأةُ مرةً أخرى فادعها حتى أستمع إلى ما عساها أن تقوله !

وفي اليوم التالي ذهبت أم علاء الدين إلى مجلس قضاء السلطان ، ووقفت في المكان الذى تعودت أن يقفَ فيه في الأيام السابقة ؛ فلما رآها الوزيرُ الأكبرُ استدعى أحدَ الحجاب وأشار إليها ، وأمره أن يحضرها . فسارت أم علاء الدين خلفَ الحجاب حتى وقفَ بها أمامَ السلطان . فلما كانت أمامه سجدت . وظلت كذلك حتى أمرها الملكُ أن ترفعَ رأسها . ففعلت ، فقال لها الملكُ :

أيتهى المرأةُ الطيبةُ ! لقد لحظتُ أنك كنت تأتين كل يوم ، وتظلين

واقفة من مبدأ الجلسة حتى نهايتها ، من غير أن تعرضى قضية ، أو تنشرى ظلامة ، فما الذى دعاك إلى ذاك ؟ !

فلما سمعت كلامَ الملك سجدت مرةً أخرى ، ولما نهضت قالت مخاطبةً الملك : يا ملك الملوك ! ألتبس منك أن تغفرَ إن أخطأتُ أو أسأتُ إلى مقامك الكريم فيما سأقوله .

فقال لها السلطانُ : قولى ما يبدو لك ولا جناحَ عليك ولا تريب ؛ فتكلمى بلا خوف ولا وجل ، فأنت آمنةٌ .

ولما أمنت أم علاء الدين على نفسها من غضب الملك - قصتُ عليه سببَ مجيئها إليه ، ومشولها بين يديه .

فأصغى السلطانُ إلى رسالة المرأة من غير أن تبدوَ عليه أمارات الغضب ، ولكنه قبل أن يجيبها إلى ما طلبت سألها عما تحمله ملففاً فى الفوطة ، فكشفت الصينيّة ، ووضعها على نضد أمام الملك !

فما إن رأى الملكُ ما عليها من جواهر نادرة جميلة حتى فغَرَ فاه من الدهشة ، وظل بضعَ ثوان لا يحير كلاماً ، وعقدت الدهشةُ لسانه ! ولما زالت عنه الدهشة وعاد إلى اتزان الملوك أخذ الصينيّة ، وظل يقلبُ جواهرها ويكرر قوله : ما أجملَ هذه الجوهرة !! وما أكبرَ هذه الزمردة !! وما أبدعَ هذه الدرة !! !

وبعد أن فحص عن الجواهر ، وتناولها واحدةً بعد أخرى ، التفت إلى الوزير الأكبر وأراه الصينيّة ، وقال له : انظرْ واعجبْ وادهش واعترفْ أن عينيك لم تر قط جواهرَ أجملَ مما ترى !

فأعجب الوزيرُ بما رأى . فقال السلطانُ للوزير :
 حسناً ! ! ما رأيك في الهدية ؟ أليست تسمو إلى مقام الأميرة ؟ !
 أليس من الواجب أن نوافق على زواج الأميرة ممن يقدرُها قدرَها ؟
 فقال الوزير : إني أعترفُ أن الهديةَ على قدرِ الأميرة ؛ ولكني
 أرجو أن يترى السلطانُ ، ويمهلني ثلاثة أشهر ، فقد تناحُ الفرصةُ لابني
 أن يقدم هدية خيراً من هدية علاء الدين الذي هو شخصٌ أجنبى عن
 عظمتك .

فوافق السلطان على اقتراح الوزير الأكبر ، ثم التفت إلى أم
 علاء الدين وقال لها : ارجعي إلى دارك أيتها المرأةُ الطيبةُ ، وأخبري
 ابنك أننى رضيت به زوجاً لابنتى ، ولكن ذلك الزواج لا يتم إلا بعد ثلاثة
 أشهر ؛ فإذا ما انقضت المدةُ فتعالى إلينا .

فرجعت أم علاء الدين إلى بيتها وهي فرحةٌ مسرورةٌ مغتبطةٌ بنجاح
 وفادتها نجاحاً لم تكن تتوقعه ، وأخبرت ابنها النطق السلطاني الكريم .

ولما سمع علاءُ الدين رسالة السلطان كماد يحن من الفرح ، وخيل
 إليه أنه أسعدُ الناس جميعاً ؛ وأخذ يعد الأيامَ والساعات التي تمر .

وصادف أن خرجت أم علاء الدين بعد شهرين من مقابلتها السلطان
 لفراغ ما عندها من زيت ؛ فوجدت حركةً غير عادية ، وزينات
 تعلقُ ، وأفراحاً تقام ، ووجدت الشوارعَ مكتظةً بالناس والجنود والضباط
 بملابسهم الرسمية ممتطين خيولهم ومن ورأهم الخدمُ والأتباعُ ، فسألت
 أم علاء الدين الزيات : ما الخبرُ ؟ !

فقال لها الزيات : هل أنت غريبة عن هذه الديار أيتها السيدة الطيبة ؟! فكيف ، لا تعلمين الخبر الذى شاع وذاع ، وملأ البقاع ؟! إن هذه الأفراح التى تقام إنما هى من أجل زواج ابن الوزير الأكبر من الأميرة بدر البدور ابنة السلطان فى هذه الليلة ، وقد ذهبت الأميرة إلى الحمام وستعود منه بعد قليل ؛ وإن هؤلاء الجنود والضباط مصطفون فى الشوارع ترحيباً واحتفاءً بمرورها .

ولما سمعت أم علاء الدين هذا الخبر طارت إلى البيت ، وعند ما رأت ابنها صاحت محزونة :

يا بنى ! لقد أضاعوك ، وغدروا بك ، وإن وعود السلطان وعود كاذبة ؛ فإنه فى هذه الليلة سيتزوج ابن الوزير الأكبر ببدر البدور بنت السلطان .

ولما سمع علاء الدين الخبر الفاجع اغتراه ضيق شديد ، وألم ممض ، وأسرع إلى مصباحه ، وصمم أن يدعو خادمه الغفريت الذى وعده أن ينقله إلى الجبال وينزح البحار ، ويحيل المدن خراباً ، والخراب عمراناً ؛ وكان همه الأول منع هذا الزواج بأى وسيلة من الوسائل مهما كلفه ذلك من جهد ومشقة .

حك علاء الدين المصباح ، فجاءه الجنى ملبياً . وقال له الكلام الذى اعتاد أن يقوله .

فقال له علاء الدين :

أصغ إلى ، لقد نفذت من قبل كل ما أمرتك به ، وأمرك الآن أن

تقوم بعمل صعب شاق . إن بنت السلطان التي وعدني أبوها بالزواج منها . ستتزوج الليلة ابن الوزير الأكبر . ترقب ذلك ، واحضر حفلات الزواج كلها . واتركهم يحتفلون ما يشاءون أن يحتفلوا ؛ فإذا انتهت الاحتفالات ، وعاد الناس إلى بيوتهم ، وأوت بدر البدور وابن الوزير زوجها إلى منزل الزوجية المعد لهما ، فلا تدعهما يخلوان إلى أنفسهما ، ولكن أسرع إليهما ، وأحضرهما إلى . وأنا في انتظارك .

فقال الجنى : سيدي ؛ إنك تطلبُ أمراً لا عسرَ فيه ولا مشقة .
انصرف الجنى . وتناول علاء الدين العشاء مع أمه كعادتهما كل ليلة . ثم ذهب إلى مقصورته في انتظار حضور الجنى بالأميرة .
وبينما كان علاء الدين منتظراً في هم ناصب ، وقلق ممض ، كان قصر السلطان يمجُّ بكبار رجال الدولة الذين دعوا لحضور الاحتفال بزواج الأميرة : فالزينات مقامة ، والمغنون يغنون . والمشعوذون يشعوذون ، والمضحكون يفاكهون الناس ، والنساء يزغردن ، والأطفال يلهون . وهكذا ترى في كل مكان سامراً ؛ والموائد بعد ذلك ممدودة يختلف إليها الناس من هنا وهناك . فيشبعون بطونهم . ويدعون للعروسين بالرفاء والبنين .

انتهى الحفل ، وانفض الناس ، وأوى العروسان إلى منزلهما الذي أعد لهما . ولم يكده يستقر بهما المقام . ويأمران الخدم ووصيفات القصر بالانصراف حتى ظهر لهما خادماً المصباح الأمين . كأنما نبت من الأرض ، أو هبط من السماء فهلعت العروس . وذعرت . وظنت أن زوجها سيخف إلى حمايتها . ولكنه كان أشد منها خوفاً وأكثر رعباً .

ولم تشعر إلا وهما طائران في الهواء : وانتهت رحلتهما الغريبةُ بين غمضة عين وانتباهتها أمام علاء الدين .

ولما رآهما علاءُ الدين سر سروراً عظيماً ، وقال للجنى :
خذُ هذا المتطفل ، واحتفظ به في مكان أمين ، واثني به في صباح الغد .

ولما خلا علاءُ الدين بالأميرة تقدم إليها في عطف ولطف واحترام .
وحاول أن يهدي من روعها ، ويؤمنها على نفسها ؛ ثم أخذ يقصُ عليها قصته مع أبيها ، وغدرة به فهدأت بعض الهدوء : وزال عنها بعض ما بها من الفزع والرعب ؛ وكان الليل قد أوشك أن ينتهي فأمر علاءُ الدين أن يهيا لها مكاناً لتنام فيه : ثم أغلق بابَ الغرفة عليها ، ونام مع أمه إلى الصباح .

ولما طلع الفجرُ جاء الجنى بالزوج ابن الوزير الأكبر ، فأمره علاءُ الدين أن يحملهما إلى قصرهما الذي هيئ لهما ليعيشا فيه .
وما إن استقر بهما المقامُ في مقصورتهما حتى جاء السلطان ليقدم تهانيه الأبوية للأميرة ، ويباركها هي وزوجها .

ولما دخل على الأميرة . تقدم إليها وقبلها في جبينها قبلة العطف والحنان ، لكنه عجب من أن الأميرة لم تكن مبتهجة ، بل كانت متجهمةً عابسةً ؛ ثم ألقت إليه نظرةً حزينةً ألقت في نفسه أن بنته قد أصابها مكروه .

وخشى الملكُ أن يكونَ في الأمر سر خفي . فأسرع إلى مقصورة

زوجته ، وحدثها حديثه مع الأميرة ، وصور لها كيف وجدها ، وكيف لقيته ، وكيف ألفت إليه نظرةً حزينةً هزته هزاً عنيفاً ، لأنه تأكد أن في الأمر سرّاً خطيراً لا يعرفه .

فانزعجت الأم ، وقالت لزوجها : إني ذاهبةٌ إلى الأميرة لأعرفَ خبرها . وما إن التقت الأميرةُ بأمها حتى ارتمت في أحضانها ، وأنّت وبكت ، وتنهدت وشكت . وسألها أمها :

ما بالك يا بنتي حزينة في صبيحة ليلة زفافك ؟ !

فقصت عليها القصة ، وكيف قضت ليلتها ؛ فعجبت الأم ، وطلبت منها ألا تخبر أحداً بهذه القصة التي لا يصدقها عقل ، وتكون مثاراً قيل وقال ، ومصدر شائعات قد تضر بسمعها وسمعة أبيها وسمعة زوجها . أما الزوجُ فقد عز عليه أن يقص قصة إهانته وهو ابنُ وزير وزوج بنت السلطان . فرأى من حزم الأمور أن يلتزم الصمت ، ومبالغة في التستر أمر أن تستمر الأفراحُ ، والليالي الملاح سبعة أيام .

وما كاد الزوجان غير السعيدين يخلوان إلى أنفسهما في الليلة التالية حتى جاءهما البخني خادمُ علاء الدين ، وحملهما إلى منزل علاء الدين ، وقضيا ليلتهما كما قضياها في الليلة السابقة : البخني يتحفظُ على ابن الوزير حتى الصباح ، وعلاء الدين يدخلُ بدر البدور غرفةً خاصةً لتنام فيها . حتى إذا أصبح الصباحُ أعيدا إلى مقصورتهم .

وجاء السلطانُ ليرى الأميرةَ . ولم تطق الأميرةُ كتمان الأمر ، فقصت عليه كل ما جرى لهما في اليلتين السابقتين .

ولما سمع السلطانُ هذه الأخبارَ المزعجةَ العجيبةَ ، استدعى الوزيرَ الأكبرَ ونحلاً إليه ، وقص عليه قصةَ ابنته ، فقال له الوزيرُ :
 إن ما لقيتهُ الأميرةُ لم يكن شيئاً مما لقيه ابني ، فإن الأميرةَ عوملت
 بكل تجلّة واحترام ، أما ابني فقد عذبَ وأهينَ واحتقرَ .
 فتمرّ قرارُ الملك على أن يفرقَ بين الأميرة وابن الوزير زوجها ،
 وإلغاء الاحتمالات .

وقد أدى هذا الإلغاءُ إلى عجب الناس ودهشهم وتساؤلهم ، وأطلق
 الشائعات بينهم ؛ ولم يكنْ يعرف السر إلا علاء الدين الذي أخفاه حتى
 عن والدته .

٦

وفي اليوم التالي لانتهاء الثلاثة الأشهر التي كان الملكُ قد حددها لأمر
 علاء الدين ذهبت الأم إلى القصر ، ووقفت في المكان الذي كانت
 تقفُ فيه على مقربة من الملك في مجلس قضائه ، فعرفها الملكُ ، وأمر
 الوزير أنْ يستدعيها إليه .

ولما مثلت أم علاء الدين أمامَ الملك سجدت أمامه على عادة أهل
 زمانها حينما كانوا يقابلون الملوكَ ، ثم نهضت وقالت له :
 أيها الملكُ السعيدُ ! لقد جئتُ إليك لأستنجزك وعدك الذي
 قطعته على نفسك بزواج الأميرة بدر البدر من ابني علاء الدين .

فقال الملكُ إلى الوزير : وسأله أن يُشيرَ عليه بما يفعلُ . فهمس إليه الوزيرُ قائلاً : إن خيرَ ما تفعلُ أن تطلبَ منها شيئاً يعجزُ عنه أقوى الناس وأعزهم وأغناهم فتصرف ولا تعودُ إليك . فاستحسن الملكُ رأى الوزير . والتفتت إلى أم علاء الدين :

وقال لها :

أيها المرأةُ الطيبةُ ، إن من الحق علينا أن نفي بوعدنا . وأن نكونَ عندَ كلمتنا . وإني سأحافظُ على وعدى لك بزواجِ بنتى الأميرة بدر البدور من ابنك ؛ ولكن إن يتم ذلك إلا بعدَ أن أتأكد من قدرة ابنك على أن يرتفع إلى مستواها . فارجمي إليه ، وأخبريه . أننى لا أزوجه منها إلا إذا استطاع أن يهبَ لها أربعين صينيةً من الذهب الخالص . وعلى كل منها مقدارٌ من الجواهر والأحجار الكريمة يعدل ما كان على الصينية التى قدمت لنا أولَ مرة ، على أن يحملَ كل صينية مملوكٌ حبشى . ويحف بالمماليك الأربعين أربعون من الغلمان البيض . وكلهم بملابس فاخرة . هذه هى شروطى ، وهذا هو مهرُ بنتى . فإذا استطاع ابنك ذلك رضيتُ به زوجاً لابنتى . وإنى فى انتظار رد ابنك .

فخرت أم علاء الدين ساجدةً أمام السلطان مرةً أخرى ، ثم انصرفت ، وفى الطريق عجبت من هذيان ابنها ، وتعلقه الأحمق بابنة السلطان . فمن أين له هذا العدد الكبير من صينيات الذهب المملوءة بالدر والجواهر ؟ ! إن ذلك لا يقدرُ عليه بشرٌ . ولما وصلت إلى البيت تساورها هذه الوسوسُ والأفكارُ . قصت

على علاء الدين ما جرى بينها وبين السلطان ، وأخبرته ما طلبه مهراً ممن يريد الزواج من الأميرة ؛ وختمت حديثها مع ابنها بقولها :
وإن السلطان في انتظار ردك الآن ؛ وأغلب ظني أنه سوف ينتظر طويلاً !!

فقال لها علاء الدين :

سوف لا يطولُ به الانتظارُ كما تظنين يا أماه ؛ إن طلبه هينٌ على ؛
وإني سأبرهن له أن لا عقبةَ تحولُ بيْ وبين الزواج من الأميرة .
سترين أنني أعد ما طلبه في أقل من ملح البصر .
ودخل علاء الدين مقصورته ، ودعا خادماً المصباح . وأمره أن
يأتي بما طلبه السلطان ليقدمه له قبل انفضاض مجلس الصباح .

فقال الجني : سماعاً وطاعةً . ثم اختفى .

ولم يلبث أن ظهرَ ومن ورائه أربعون عبداً حبشياً يحملون أربعين
صينيةً من الذهب الخالص . وعليها ما طلبه السلطان من جواهر كبيرة
الحجم ، نادرة المثال ويحيط بهم أربعون مملوكاً ؛ واصطفوا جميعاً أمام
بيت علاء الدين ، ونادى علاء الدين أمه . وقال لها :

لا تضيعي الوقتَ يا أماه . فهذه هي الهديةُ التي طلبها السلطانُ ،
تقدمي المماليك إلى قصر السلطان ، وقدمي له هذه الهدية الثمينة ، حتى
يعلم حوْلِي وطوْلِي وقوْتي وقدرتي . وعزى وغناى .

وما إن سار هذا الركبُ في موكب عظيم ، حتى استرعى نظرَ
الناس ، وأخذوا يتساءلون عن نبئه ؛ وإن نظامَ المماليك البديع ،

ومشيتهم الرزينة ، وملابسهم المزركشة ورشاقة أجسامهم . . استحوذت على عقول الناس ، وأثارت إعجابهم ، وتجمعوا ليشاهدوهم ؛ لأن الناس لم يروا قط مثل هذا المشهد البديع ، حتى في قصر السلطان نفسه ! ولما بلغ السلطان خبر مقدمهم أصدر أوامره لحراس القصر بالإذن لهم بالدخول ، ووصلوا إلى المجلس من غير أن يعترض أحد سبيلهم . ولما اقتربوا من المجلس انقسموا قسمين : قسم وقف عن يمين الملك ، وقسم وقف عن شماله ، ثم تقدم العبيد الذين يحملون الجواهر ، ووضعوا ما يحملون أمام الملك وسجدوا جميعاً أمامه . وحذا حذوهم الممالك البيضاء . ولما نهض الممالك جميعاً كشف العبيد السود عن الجواهر ، ثم وقفوا بأدب واحترام وأيديهم مشبكة على صدورهم .

ثم تقدمت أم علاء الدين ، وحيث السلطان ، ثم قالت : إن ابني يقرئ السلطان السلام ، ويبلغه أن هذه الهدية دون قدر الأميرة بدر البدر ، ولكنه مع ذلك يرجو مولاي السلطان أن يتفضل بقبولها ، وعسى أن تحوز قبول الأميرة ورضاك لأنه طلبة ولدي ! أما الملك فإنه انعقد لسانه من فرط دهشته دقائق معدودة ، ظل صامتاً في أثناءها ، ثم انطلق لسانه فقال :

أيها المرأة الطيبة ؛ انطلي إلى ابنتك علاء الدين . وأخبريه أنني أنتظره بذراعين مفتوحتين ، وكلما أسرع لمقابلتي لأزوجه من الأميرة ابنتي زاد ذلك في سروري . وضاعف سعادتي .

وما إن خرجت أم علاء الدين من القصر حتى أسرع الملك إلى



الأميرة بدر البخور تشاهد هدية علاء الدين

فض الجلسة ، وصرف الناس . ونهض عن كرسیه ثم نادى وصائف الأميرة ، فلبوا النداء مسرعين ؛ فأمرهم أن يقودوا ذلك الموكب العظيم بما يحمل من الجواهر الغالية ، ويذهبوا بها إلى مقصورة الأميرة ؛ وسبقهم إليها ليعاود فحص الجواهر على مرأى من الأميرة . وفي خلوة من الناس .

فتقدم الوصيفات الممالك والغلمان الذين جاءوا بالهدية إلى مخدع الأميرة ، وكان السلطان قد سبقهم إلى الأميرة ، وقص عليها ما حدث ، ووصف الجواهر وأوانيها وحاملها ، وبالع في الوصف . وجاء الغلمان ، واصطفوا أمام المقصورة . فطلب الملك من بنته أن تطل عليهم من وراء ستار ، لترى بعينها ما سمعته أذناها حتى لا تتهمة بالمبالغة .

وفي أثناء ابتهاج الملك والأميرة بالهدية والتفرج عليها — كانت أم علاء الدين تسرع إلى البيت ، وما إن رآها علاء الدين حتى فهم من ملامح وجهها ، ومن السرور البادي عليها أنها عادت من عند السلطان راضية ، فاغتنبت وانشرح صدره ، وتهد تنهدة فيها اطمئنان لنفسه . وبرد لقلبه . وما لبثت الأم أن صدقته الخبر . فقالت له :

لقد بلغت يا بني أوج السعادة ؛ فتد وافق الملك على زواجك من الأميرة ، وأعلن ذلك على رعوس الأشهاد . وهو مغتبط لذلك أشد الاغتنباط ، وهو يدعوك إلى المبادرة إليه . لأنه في انتظارك في لفة .

وما إن سمع علاء الدين كلام أمه حتى أسرع إلى غرفته . وهناك دعا الخادم المطيع ، وقال له : احملني الآن إلى أحسن حمام . واثني

بأفخر الثياب ، وبأجمل حلة لبسها سلطان* أو ملك* !
ولم يكد علاء الدين يتم كلعاته حتى حمّله الجنى ، واخترق به
حيطانَ الغرفة وأوصله إلى حمام فخم ، أرضه من الفسيفساء ، وحيطانه
من الرخام ، وأحواضه من المرمر ، وقطائله من الحرير ، وستائره من الخز
والديباج ، وأثاثه من القرو والعاج والأبنوس ، وتفوح منه روائح الند
والكافور والعنبر ، وروائح أخرى لم تعطر من قبل معاطسه .

واستقبلته فتيات* كأنهن الحور العين . وغلمان كأنهم اللؤلؤ المكنون ؛
ونخلعوا عنه ملابسه ، ثم نقلوه من حوض إلى حوض ، وكل حوض
تختلف رائحة مائه . ودرجة حرارته عن الأحواض الأخرى ؛ وأخذت
الفتيات بعد ذلك يدلكنه ، وينظفن جسمه بوسائل وطرق لم يألّفها أهل
الأرض ، ولم يشعر في كل هذا بألم أو نصب ، بل كان في نشوة ،
وشعور براحة ، ولذة لم يذقها من قبل .

وبعد أن جفّفن جسمه من الماء بقطائل لينة الملمس ، ألبسنه أفخر
الشعار ، وأسبلن عليه حلة* يأخذ بريقها بالأبصار مما حليت به من در
وأحجار كريمة ، ووشيت به من فضة وذهب .

وحمله الجنى بعد ذلك كله إلى غرفته ، وقال له : هل تطلب شيئاً آخر ؟
فقال له علاء الدين :

أريد أن تحضر لي فرساً فارهاً يكون أجمل مما عند الملك من جياذ
أصيلة ، وعليه سرج* ، وفي فمه لحام ، لم ير البشر مثلهما ، ولم يخطر
جماهما على قلبهم ، ثم اثني بعشرين مملوكاً بثياب فاخرة ، وسيوف

بقلائد من حرير وذهب ، ليسيروا عن يمين وشمال ، وعشرين آخرين يسرون في صفين متوازيين أمامي ليفسحوا لي الطريق ، ثم أحضر مركبة تجرها جياد مطهمة لتركب فيها أمي بعد أن تأق لها بحلة فاخرة ، وعربات أخرى ، ليركب فيها عشر جوار حسان لابسات أحسن الثياب ليسرن في صحبها وصيفات لها ، وكل جارية تحمل حلة فاخرة تليق بالأميرة بدر البلور ثم أحضر لي عشرة أكياس من ذهب ، وبكل كيس ألف دينار . اذهب وائتني بكل ما طلبت وأسرع .

وما انتهى علاء الدين من كلامه حتى اختفى الجني ، ثم ظهر ووراء الغلمان والجواري والعربات والحلل ، وأكياس الذهب .

وقدم علاء الدين الجواري والحلل لأمه ، وقال لها :
هذه الجواري وهذه الحلل لك : ثم أعطاها أربعة أكياس من الأكياس العشرة ، وقال لها :

وهذه الأكياس الأربعة لك أيضاً تتصرفين فيها كما تشائين !
أما الأكياس الستة فإنه أعطاها لغلمانه ليحملوها ، وأمرهم أن ينثروها على رءوس النظارة في الطريق التي يمر بها إلى قصر الملك ، وأمرهم أن يتقدموه في صفين : ثلاثة عن اليمين وثلاثة عن الشمال .

ولما فرغ علاء الدين من إعداد ركبه إلى القصر صرف الجني ، ثم ركب فرسه ، وركبت أمه المركبة .

وسار الركب الفخم الذي لم تر المدينة مثله ، فأذهل الناس الذين خفوا إلى مشاهدته ، فنثرت عليهم دنائير الذهب كما أمر علاء الدين ،



السلطان يستقبل علاء الدين

فاغتبط الناسُ وفرحوا ، ودعوا لعلاء الدين بطول العمر ، وهتفوا له بالحياة السعيدة .

وكان علاءُ الدين لم يركب فرساً قط ، إلا أنه كان يمتطي جواده كأحسن فارس مدرب على ركوب الخيل .

ولما وصل علاء الدين إلى القصر ، ورآه السلطان ، أعجب أيما إعجاب بفخامة موكبه وجمال ملابسه . وملابس أمه وأتباعه وتابعاتها ؛ لأنه وِدو سلطانٌ . وحاكم البلاد وأغنى من فيها — لم يكن له مثلُ ما رأى معهم وعاليهم . وقد أثر عليه جمالُ منظرهم . وجلالُ مظهرهم . كما تأثر من سرُأي علاء الدين ورزاقته ومهابته .

فنهض الملكُ ، وأسرع إليه . وعانقه . ولما هم علاءُ الدين أن يسجدَ له على عادة الناس في مقابلة سلاطين هذا الزمان ؛ لم يمكنه من ذلك . وأمسك بيده ، وأجلسه عن يمينه . وبعد ذلك أولم له وليمةً فاخرةً لا تؤلمُ إلا للملوك والأمراء ، دعا إليها الوزراء وكبارَ رجال الدولة . وكان مجلسُ الشرف لعلاء الدين . وجلس كل في مرتبته .

وبعد الوليمة استدعى الملكُ القاضي . وأمره أن يعقد عقد قران بدر البدور وعلاء الدين .

وبعد أن تم ذلك سأل السلطانُ علاءَ الدين عما إذا كان يريدُ البقاءَ في القصر لإتمام حفلات الزواج في المساء نفسه الذي تم فيه الزواجُ ، واستقبال المهنيين .

فقال علاءُ الدين :

أيها السلطان الجليل : على الرغم من شوق العظیم للقاء زوجتي
الأميرة فإنني ألتبس من عظمتك أن تهبني قطعةً من الأرض بجوار
قصركم المنيف ، لأشيد فيها قصرًا يليق بمقام الأميرة في أقرب مدة .
وأجابه الملكُ إلى طلبه ، ثم عانقه مرةً أخرى قبل انصرافه . وأظهر
من الأدب ومعرفة السلوك نحو الملك ما أدهش الملك ، إذ أنه بدا كأنه
وُلد في القصر وعاش فيه .

ورجع علاء الدين على النسق الذي جاء به . وما إن احتوته غرفته
حتى استدعى الجني ، وقال له :

أريد منك أن تبني لي قصرًا بجوار قصر السلطان ، وأن يكون أفخم
من قصر السلطان وأكثر منه اتساعاً . وأعلى بنياناً ، وفيه من الحلي
والنقوش من الذهب والفضة والرسوم الملونة ما لم يحوه قصرٌ من قصور
الملوك والسلاطين ، وفيه من الأبهاء والردحات والمقصورات ما لم يخطر على
قلب إنسان . وألا تكون نوافذه -- إلا واحدة -- من الفضة الخالصة والذهب
الوهاج . ثم انقل إليه من الأثاث المصنوع من الذهب والفضة والعاج
والأبنوس ما يزدحمُ به ، واجعل حلياته دراً وياقوتاً وزمرداً . واحمل إليه
الفراش المنجد من الحرير وريش النعام ، المنخرف بأحسن الزخارف ؛
وأحطه بموائد فيها من كل فاكهة زوجان ، وفيها النافورات العجيبة ،
وفوق ذلك يكونُ له خزانةٌ كبيرةٌ ، تملأ بالنفائس والجواهر ، والذهب ،
والعملة المستعملة في سلطنة صهره من كل الأنواع ، ويحوى اصطبلات
منظمة للخيول والعربات . وعلى جانب منه الثكنات للجنود والحراس

والضباط ، وبيوت للمماليك والغلمان والحوارى ، ومطابخ مجهزة بكل ما تحتاجُ إليه من أفران ومواقد و.... اذهبُ وأسرع ونفذ ما طلبته منك . وما انتهى علاءُ الدين من أوامره حتى غربت الشمسُ . ولما طلعت الشمسُ جاء الجنى إلى علاء الدين ، وقال له :

قم لتنظر ما لا عينُ رأت ، ولا أذنُ سمعت ، ولا خطر على قلب إنسان ؛ وحمله إلى القصر .

وعلى الرغم من أن علاء الدين كان ينتظرُ ما هو راء الآن ، ولكنه كاد يعزب عنه عقله من عجب ما يرى وفخامة ما يشاهدُ . وجمال ما يتطلعُ إليه . وقاده الجنى إلى أجزاء القصر فألقى الجنود والضباط والحراس والمماليك والغلمان والحوارى والخيول المطهمة كل فى المكان الذى أعد له ؛ ثم قاده إلى الاصطبلات فوجد الخيول الأصيلة والسياس يعنون بها تمشيطاً وتنظيفاً .

ثم إلى المخازن فوجدَ فيها كل ما لذ وطاب من أصناف الطعام والشراب والفواكه فى أوان خاصة تحفظه من التلف .

وكانت الخزينة خاتمة المطاف ، وحين طرق الجنى بابها فتحة جنى . وأخذ يطوفُ بهم على أقسامها : هذا قسمُ الذهب ، وهذا قسمُ الفضة ، وهذا قسم العملات الصغيرة : وهذا قسمُ الزمرد ، وهذا قسمُ الياقوت ، وهذا قسمُ الخز والديباج والحرير ، وهذا قسمُ الأثاث ، وهذا قسمُ الرياش . وهذا قسمُ الملابس الجاهزة من كل الأصناف والحجوم ، وهذا قسمُ الأواني الذهبية والفضية ، وهذا قسمُ الكئوس

ولما رأى علاءُ الدين أجزاءَ القصر وما فيه وبخاصة البهو العظيم
 ذا الأربع والعشرين نافذةً ، ووجدها أكثر مما كان ينتظرُ قال للجنى :
 لم يبقَ إلا شيءٌ واحدٌ وهو بساطٌ يفرشُ للأميرة من قصر أبيها
 إلى هذا القصر .

وما إن قالوا علاءُ الدين حتى نفدت ثم حمله الجنى إلى بيته .
 ولما شاهد بعضُ خدام قصر الملك القصرَ المنيفَ الذى ظهر كأنما
 أُلقي إلى المكان إلقاءً جرّواً سراعاً فأخبروا الوزير بمعجبة العجائب .
 وأخبر الوزيرُ السلطانَ ، فقال السلطانُ : لا بد أن يكونَ علاءُ
 الدين صاحبه فقد طلب منى الأرضَ الفضاءَ ليبنى عليها قصرًا للأميرة ،
 فلعله أراد أن يرىنا قدرته فبنى هذا القصر العظيم في ليلة واحدة .
 أما علاءُ الدين فإنه طلب من أمه أن تذهبَ في أفخر ملبسها ،
 وتحف بها حاشيتها ، لتخبر الأميرة الزوجة أن القصرَ مستعد لاستقبالها
 في مساء هذا اليوم .

فذهبت ، واستقبلها الملكُ بحفاوة وتكريم .
 وانتقل علاءُ الدين في ركبه إلى قصره ، ولم ينس أن يأخذَ معه
 المصباحَ الذى كان السبب في كل هذه الأبهة والغنى والجاه والعظمة .
 وفي المساء خرجت الأميرةُ من قصر أبيها ، وسارت على البساط
 الجميل الذى أعده لها علاءُ الدين ، وكانت تحف بها الجوارى والمواشطُ
 يحملن الشموعَ التى أحالت الليلَ نهاراً ، والمغنيات ينقرنَ على الدفوف ،
 ويضربنَ على المزاهر . ويزغردن ملءَ أفواههن ، حتى وصلت إلى

قصرها ؛ فخفف علاءُ الدين لاستقبالها يحف به الغلمانُ والمماليكُ ،
وأمسك بيدها إلى البهو العظيم ، وكان مضاءً بآلاف الشموع التي تشع
نوراً ساطعاً ، وتفوح روائح عبقةً ؛ وأجلسها إلى مائدة لم تر أكبر منها ،
ولم تر أجمل مما عليها ، فأكلوا هنيئاً . وشربوا مريئاً .

ولما انتهت الوليمةُ نظرت الأميرةُ ذات اليمين وذات الشمال ، فبهرها
ما رأت فقالت لعلاء الدين :

أيها الأميرُ ؛ إننى كنتُ قبل ذاك أعتقد أنه ليس فى الوجود قصرٌ
أضخمُ وأفخمُ من قصر أبى ، ولكن هذا القصر أوضح لى بجلاء فسادَ
اعتقادى ، فإن قصر أبى ليس شيئاً مذكوراً إذا قيسَ بهذا القصر .

وما أتمت كلامها حتى دخلت البهو ثلثةً من الراقصات فأدينَ
رقصات جميلةً على نغم أغنيات عذبة شغفت أسماع الأميرة . وكانت
الأغنيات تدور حول وصف الأميرة وإطراء محاسنها .

وفى منتصف الليل دخل علاءُ الدين وزوجه مقصورتهم الخاصة .
وفى الصباح جاءهما الغلمانُ والجواري ، وقدا إليهما حللاً فاخرة
جديدة .

وبعد تناول طعام الإفطار طلب علاءُ الدين أن يسرج له جوادٌ .
وامتطاه وسار به إلى السلطان . ورجاه أن يشرفه بتناول طعام الغداء فى
قصر الأميرة .

فأجاب السلطانُ دعوته ، وسار يحف به الوزراءُ والكبراءُ وعظامُ
الضباط والحرسُ الخاص إلى قصر علاء الدين ، وكلما اقترب السلطانُ

وأتباعه من قصر علاء الدين - ازدادت فخامة القصر وعظمته وجماله
واتساعه لهم ؛ ولكن لما دخل القصر . وسار إلى البهو العظيم ، ورأى
النوافذ المصنوعة من الدرّ والياقوت والزبرجد والمرجان والماس - اعتراه
ذهول . ولما أفاق قال لزوج ابنته :

إن قصرَكَ أعجوبةٌ من أعاجيب الدنيا ! فأين نجدُ قصرًا حيّطانه
من ذهب وفضة ، ونوافذه من جواهرٍ وماس وزمرد وياقوت ؟ ! ! ولكني
أعجبُ من شيء واحد ، فكيف يليقُ أن مثل هذا البهو العظيم تترك
فيه نافذةٌ غيرُ تامة ؟ ! ! !

فقال علاء الدين :

لقد تركتها - يا سيدى - قصداً . لقد أردتُ أن أتركها حتى
يكونَ لمولايَ السلطانَ فضلُ إتمامها .

وظن السلطانُ أن ذلك سهلٌ ميسورٌ ، فأمر الوزيرَ أن يستدعى
جميعَ الصاغة وتجار الجواهر . وأمرهم أن يتضافروا جميعاً على إتمام
النافذة .

وجاءوا صباحاً بجواهرهم وعاددهم ، ورأوا النافذةَ الناقصةَ ، وطلب
منهم أن يفحصوا النوافذَ الأخرى فيكملوها على غرارها .
وبعد الفحص ائتمروا وتناقشوا وانتهوا إلى قرار . وكلّفوا رئيسهم أن
يفضّيَ به إلى السلطان . ولما مثل بين يديه قال له :

يا مولاي ؛ إن ما لدينا من جواهر لا يكفي لإتمام النافذة ! !

فقال له السلطانُ : إن لدى من الجواهر ما يزيدُ على ما تطلبون ،

فتعالَ إلى قصرى . وانتق مما عندى ما تحتاجُ إليه لإتمامه .
وأمر السلطانُ أن يؤتى بجواهره . وأن توضع أمام كبير الصاغة
ليختارَ منها ما يشاء . فاختار منها مقداراً كبيراً . وكان من بين ما اختاره
ما جاء به علاءُ الدين . ووهبه للسلطان .

وظلوا يعملون : وانتهى ما عندهم من الجواهر من غير أن يتحوا ثلث
النافذة . وأوفدوا رئيسهم إلى السلطان فأعطاه ما بقى عنده من الجواهر .
ولكنها لم تف بما يكملُ نصفَ النافذة : وذهب رئيسهم مرةً أخرى إلى
السلطان . فطلب من الوزراء وكبار رجال الدولة أن يقدموا ما عندهم
من جواهر ؛ وظلوا يشتغلون زهاءَ شهر ومع ذلك لم يتم من النافذة إلا
نحو نصفها !

وكان علاءُ الدين يعلم أن ما يبذلون من جهد لا بد ذاهبٌ سدى ؛
فجاءهم وقال لهم :

الآنَ وقد عجزتم عن إكمال النافذة ، فإنى أطلبُ منكم أن تهدموا
ما صنعتم ، وأن تحملوا الجواهرَ إلى السلطان ووزرائه .

ولما انصرفوا ، استدعى علاءُ الدين الجنى ، وأمره أن يتم النافذة .
فتمت فى ثوان معدودات .

ولما عاد الصاغةُ إلى الملك ، وقدموا إليه جواهره ، وأبلغوه ما أمرهم
علاءُ الدين أن يبلغوه إياه — ركبَ فرسه ، وأسرع إلى قصر علاء الدين ،
ليعرفَ سببَ تصرفه مع الصاغة . واستقبل علاءُ الدين السلطان ،
وسار به إلى البهو العظيم ، ولم يكن همُّ للسلطان غير مشاهدته النافذة الناقصة .

ونظر السلطانُ إليها ، فهاله أن يجدَ في مكان النافذة الناقصة نافذة كاملةً ، فظن أنه أخطأ مكانها ، فنظر إلى التي عن يمينها فرآها كاملةً ، وإلى التي عن شمالها فوجدها كاملةً . ولما تأكد أن النافذة التي ظل عشرات الصاغة شهراً أو يزيد لإتمامها . فلم يفلحوا . ولم يكفهم ما عنده هو ووزرائه ، وكبار رجال دولته من جواهر : أتمها علاء الدين في وقت قصير لم يتمالك أن هروا إليه . وقبله بين عينيه . وعانقه عناقاً طويلاً . وقال له :

يا بني ؛ أي الرجال أنت ؟ ! وما حَوْلُك وطَوْلُك وقوتك حتى تفعل في هذا الوقت القصير ما يعجزُ عنه عشرات من مهرة الصاغة والصناع في أكثر من شهر ؟ ! إنك يا بني منقطعُ القرين ! إن منزلتك تزداد كل يوم ، ومقامك يعلو كلما قمتَ بعمل معجز !

وعاش علاء الدين بعد ذلك مع زوجته بدر البدور في أرغد عيش وأهنأ حال . وابتسم الدهرُ لهما ، وسعد كل منهما بصاحبه ، وكان علاء الدين يخرجُ من قصره في ركب يزرى بركب السلطان ، فيذهب إلى المساجد والمجتمعات ، ويوزع الصدقات على الفقراء ، كما يوزع الهدايا على الموسرين والأغنياء ، وبذلك كسب محبة الناس واحترامهم ، لا فرقَ بين غني وفقير ، وصُعلوك ووزير .

وظل كذلك سنين !

٧

هذا ما كان من علاء الدين .

أما ما كان من الساحر المغربي فإنه كان يعتقدُ حين غادر الصينَ أن علاء الدين قد هلك ؛ ولكنه كانت تتتابه بعضُ الوسواس والشكوك ، فأراد أن يطمئن قلبه بمعرفة مصير علاء الدين ، ومصير الكثر الذى كان يريدُ أن يفتحه على يد علاء الدين ، ويستولى عليه وينتفع به . ويسخر الجنى لخدمته . وقضاء حاجاته .

وسار نحو الصين . ولما بلغها بعد أن قطع مسافات طويلةً فى سنين متعددة . قصد إلى مدينة علاء الدين ، فلما بلغها أخذ يتسمع الأخبار : فسمع عن القصر العجيب ، وعن زواج الأميرة بدر البدور من علاء الدين الذى كان فقيراً فأغناه اللهُ من فضله . فسأل عنه فقيلَ له : إنه يمر فى الطرقات فى ركب عظيم . وإنه يعطى المال عطاء رجل لا يخاف فقراً . ولا يخشى عدماً .

ورأى الساحرُ علاء الدين فى إحدى زياراته فعرف فيه الصبي الصغير الذى خدعه وظن أنه مات فى الكثر . فعلم أن ذلك كله من عمل خادم المصباح . فعزم على أن يستولى على المصباح بأى ثمن .

نزل الساحرُ فى خان . وغير هيئته ، ولبس ملابس رثة ، ثم ذهب إلى صائغ وطلب منه أن يعد له مصابيح مذهبةً جميلةً ، فأعدها ،

فأخذها الساحرُ ، وحملها على ظهره وسار في الشوارع ينادى :
 من يبيعُ مصباحاً قديماً بمصباح جميل جديد ؟ ! !
 فظنه الناسُ مجنوناً ، واجتمع عليه الصبيةُ يهزءون به . ويسخرون
 منه ، فتحمل ذلك كله ، وصبر عليه . وفي أثناء ذلك تعرف ببعض
 الناس ، ووقف على كثير من الأخبار ، وقد عرف فيما عرف أن علاءَ
 الدين خرج للصيد في رحلة قد تستغرق أسبوعين أو أكثر من أسبوعين .
 فقصده إلى الجهة التي فيها قصرُ علاء الدين . وسار أمام القصر ،
 وسار وراءه الصبيةُ يصيحون عليه ، ويسخرون منه . ويصفقون .
 وكانت الأميرة تنظرُ من إحدى نوافذ القصر . فرأت جمعاً غفيراً
 من الصبية والغلمان يسرون وراء رجل ، فدعاها حب الاستطلاع إلى
 أن ترسل إحدى جواريتها لتسأل عن السبب : فعادت الجارية وهي
 تضحكُ ، وأخبرت سيدتها أن الصبية وبعض الكبار متجمعون حول
 رجل يبيع مصابيح جميلة غاية في إتقان الصناعة لقاء مصابيح قديمة :
 يعطى مصباحاً جديداً ، ويأخذ مصباحاً قديماً .
 فأنبأها الأميرةُ على سوء ما صنعت ، وعلى أنها تضحكُ من رجل
 كما يضحك الصبيان الأغرارُ ولكنها عجبت من البائع الجوال الغريب .
 وجاءت جاريةٌ أخرى إلى سيدتها تقولُ لها :
 إني لا أدري ما إذا كنت يا سيدتي قد لاحظت أن مصباحاً قديماً
 علاء الصدا موضوع في الغرفة التي يضع فيها سيدي صاوين ملابسه ،
 فهلا أعطيناه لهذا البائع الجوال واستبدلنا به مصباحاً جديداً ؟ ! ! وإني

واثقة أن سيدى سيسر حين يعلم خبر هذه المقايضة التى سوف نتندر بها !
 فاستهوت هذه الفكرة الأميرة ، وأرادت أن تختبر سخف البائع
 الجوال الذى يستبدل قديماً بجديد ؛ فأمرت الجارية أن تأتى بالمصباح ،
 وهى لا تعلم قيمته ، ومقدار حرص زوجها عليه - فأطاعت الجارية .
 وجاءت بالمصباح القديم ، وذهبت به إلى الساحر المغربى المتخفى ،
 وأرته إياه ، وسألته أن يأخذه ويعطيها مصباحاً جديداً

فلمعت عينا الساحر ، لأنه عرف المصباح من أول نظرة والذى
 زاده يقيناً أن مثل هذا المصباح القديم الصدى لا يمكن أن يستخدم
 فى مثل هذا القصر الفخم ، وكل شىء فيه من ذهب وجواهر ؛ فاخطفه
 بشغف من يد الجارية ، ووضع بين طيات ملابسه ، وقدم السلة التى
 بها المصابيح الجديدة ، وترك الجارية تختار المصباح الذى يحلو لها .
 فأخذت الجارية مصباحاً ، فحملته فرحة إلى سيدتها ؛ وما إن تم
 البذل حتى صاح الصبية يسخرون من هذا التاجر الجوال المعتوه الذى
 يشتري قديماً بجديد .

أما التاجر المزعوم فقد أسرع مجدداً نحو الخان ، فقد نال ما تمنى ،
 وسرعان ما تفرق عنه الصبية ، لأنهم لم يستطيعوا متابعته فى سيره .

وما إن ابتعد عن القصر حتى عرج على أحد الشوارع الضيقة .
 ووضع السلة بما فيها من مصابيح قديمة ، وأخرى جديدة ، فى إحدى
 خرباته ، من غير أن يلحظه أحد السابلة ؛ ثم سار إلى أحد أبواب
 المدينة ، وخرج إلى ضواحيها ، وسار فى طرقاتها الخالية . وهناك جلس

تحت شجرة منعزلة حتى أقبل الظلام . ولما جن الليل . أخرج المصباح من بين ثيابه ، ودعكه ؛ فظهر خادمه الجنى . وقال له بخشونة وغلاظة :
ما الذى تريده منى ؟ ! إني مستعد لإطاعتك أنا وخدم المصباح الآخرون .

فقال له الساحر :

أريد منك أن تحملنى أنا . وأن تحمل القصر الذى شيدته لعلاء الدين بمن فيه وما فيه إلى بلدى بالمغرب الأقصى .
ولم يجب الجنى ولكنه اختفى ، وتعاون هو وخدم المصباح . وحملوه هو والقصر إلى بلده بالمغرب الأقصى كما أمر .

وفى الصباح الباكر عندما استيقظ السلطان كعادته كل يوم وقصد إلى النافذة التى تعود أن يقف أمامها ليمتع نظره برؤية قصر الأميرة ، هاله أن لا يرى القصر فى مكانه ! !

وظن أول الأمر أن عينيه تخدعانه . فدعكهما ونظراً ، ثم نظر . فلم ير القصر . واستدعى زوجته ، وطلب منها أن تنظراً إلى القصر . فنظرت ، ثم نظرت ؛ فلم تره . فانزعج السلطان . وامتلاً قلبه خوفاً ورعباً : وقلق هو وزوجته على ابنتهما . وخشياً أن تكون قد لحقها ضرر ، أو مسها سوء .

ونادى السلطانُ الغلمانَ والجواري ، وعلم الجميع الخبر . وعرفه الوزيرُ الأكبر ، فخفف إلى السلطان ، فوجده فى هم ناصب . وذ هول عجيب ، لا يدري سر اختفاء القصر .

وقال الوزير - وكان يكره علاء الدين الذى غلبه هو وابنه على أمرهما ، وحل فى المكان الأول من قلب السلطان - قال :
لقد كنت أظن أن علاء الدين من الساحرين ، لأن أعماله لا تستطيع إتيانها البشر . وإن الذى يقيم فى لياة قصرًا منيفاً يعجز عظمة السلطان بما عنده من حول وطول على إتمام نافذة منه فى شهر ، لحرى بنا أن نخشاه ونخافه ونتوجس منه خيفة . وقد صدق ظنى ، وضاعت منا الأميرة . والرأى عندى أن نبعث الجند وراءه ليأتوا به على جناح السرعة : فقد ينبئنا عن سر اختفاء قصره .

ومن يدرى ؟ ! فاعل رحلة صيده كانت مبيتة ليختفى القصر فى أثنائها . فيحاول أن يتخلص من جبريته !

فأرسل السلطان كتيبة من الفرسان . تبحث عنه فى الجهات التى يظن أنه يصيد فيها . فعثرت عليه يلهو بصيد الطيور من بركة بعيدة تكثر فيها طيور الصيد : فقبضت عليه وجاءت به . وقد عامله رئيس الكتيبة معاملةً خشنه . فيها قسوة وغلظة . فعجب علاء الدين مما وقع . ولكنه لم يملك إلا التسليم حتى تتكشف له الأمور .

ولما وقعت عليه عين السلطان لم يستمع لكلمة واحدة يقولها ، بل أمر فى ثورة جامحة ظاهرة بقتله .

وأوشك علاء الدين أن يأتى حتفه على يد رجل أحسن إليه ، لولا أن انتشر الخبر فى المدينة انتشاراً سريعاً : فتنادى الناس ، وتجمعوا ، وخطب خطباءهم : وعددوا محاسن علاء الدين وأفضاله ، وعطفه على

الفقراء ، وبرد بالناس ، وهددوا من يمسّه بسوء بالعمل على الدفاع عنه ، ولو كان السلطان .

وأسرع خلصاءُ السلطان إلى القصر . وأبلغوه الخبر . فخاف من ثورة الناس الجاحمة فأطلق سراحَ علاء الدين .
ولما وجد علاءُ الدين نفسه حرّاً طليقاً خاطب السلطانَ بقوله :
ماذا جنيتُ حتى أستحق منك الموت ؟ !

فقال له الملك في غضب :

أيها التعسُّ ! ألا تعلمُ جريرتك ؟ ! ! تعال معي لأرياك إياها !
وقاده إلى النافذة المواجهة لقصره . وقال له :

انظر ! ! أين قصرك ؟ ! وأين الأميرةُ ؟ ! !

فنظر علاءُ الدين ثم نظر ولكنه لم ير القصرَ . فكاد يغمى عليه من هول المصيبة . ولما تاب إلى رُشده قال مخاطباً الملكَ :

أجل ! ! إن القصرَ قد اختفى ، ولكن ثقْ أن ليس لي يدٌ في اختفائه ، ولا علم لي بسبب ذلك . وكل ما أطلبه منك أن تمهلني أربعين يوماً . فإذا لم أرجع القصر بالأميرة إلى مكانه فأعدك وعدَ حر أننى سأتيك ، وأقدم نفسي إليك ، تفعل بى ما تشاءُ .

فقال له السلطانُ في جفوة وغلظة : أمهلتك أربعين يوماً ، ولكن لا تنس أن تأتى بعد انتهاء المدة لئرى رأينا فيك .

قال علاءُ الدين : سمعاً وطاعةً يا مولاي .

خرج علاءُ الدين من حضرة السلطان ، كاسف البال ذليلاً ،

وقد تجهم له الوزراء والكبراء ، وكان قد غمر الجميع بفضله . ولكن الحسد كان يبغضه إليهم . كانوا يمالئون ولا يحبونه ؛ فلما خدر به الزمان . وتخلف عنه السعد . مذهب القصر — تنكروا له ، فقد أصبح فقيراً لا حول له ولا قوة ، أما عامة الناس فكانوا يخفون إلى لقائه . والترحيب به . وإفساح الطريق له إذا سار بينهم .

ومكث علاء الدين ثلاثة أيام على الطوى والجوع ، لا تميل نفسه إلى طعام ولا شراب . ولو مالت لما وجدت . ولا يعرف ماذا يفعل . ولا يدري : من ذا الذى نقل قصره ؟ أهو الساحر المغربى ؟ ! ولكن من ذا الذى أخبره بخروجي حياً من الكثر ؟ ! هل ظهر ساحر آخر وأخفى القصر بسحره ؟ ! هل عثر أحد على المصباح وعرف سره مصادفةً وكان هو الجانى الأثيم ؟ ! !

وشعر فى اليوم الثالث أنه يريد أن يحك إصبعه ، فمد يده ليفعل ذلك . فلمست الخاتم الذى كان الساحر المغربى قد أعطاه إياه قبل دخوله الكثر . فلم يشعر إلا وعفريت من الجن ظهر أمامه . فعرف فيه خادماً الخاتم ، وقال له : لبيك يا سيدى لبيك ، ماذا تريد ؟ ! إنى فى خدمتك أنا وخدم الخاتم الآخرون .

فدهش علاء الدين أول الأمر ، ثم ذكر الخاتم وخادمه الذى أخرجه من الكثر بعد أن سجنه فيه الساحر ، وعجب لنسيانه الخادم وخادمه ، فقال له : أريد منك أن تخبرنى أين قصرى ؟ ! وأن ترجعه إلى المكان الذى كان فيه .

فقال له الخادم :

أما مكانه فإني مخبرك به : إنه في بلاد المغرب . أما إرجاعه فليس ذلك في استطاعتي ، ولا يقدر على ذلك إلا خادماً المصباح وأعوانه .
فقال له علاء الدين : أجل ! ! لقد علمتُ من غريمي من ذكرك بلاد المغرب ، فأريد منك أن تحملني إلى مكانه وتركني هناك .
فما إن قالها حتى حمّله خادم الخاتم وطار به . وفي لمح البصر وضعه على مقربة من القصر في أقصى بلاد المغرب .

فسار علاء الدين حتى وصل إلى القصر ، وصادف أن كانت إحدى الجوارى تطل من نافذة القصر . فرأت علاء الدين ، فأسرعت إلى سيدتها ، وأخبرتها بأن سيدها علاء الدين تحت النافذة ؛ فوجب قلب الأميرة ، وأسرعت إلى النافذة ، ونظرت فرأت علاء الدين ، فكادت تنجن من الفرح .

ولقد نبه صوت فتح النافذة علاء الدين ، فنظر إلى النافذة فوجد زوجته الحبيبة تلوح بيدها ، وقالت له :

اذهب إلى باب القصر فقد أرسلتُ من يفتحه لك فأسرع إلينا قبل أن يأتي الساحر الذي خرج منذ قليل وسوف يعود على عجل .

وسرعان ما كان علاء الدين في مقصورة الأميرة الخاصة يقبلها بين عينيها ، ويعانقها عناق الشوق المكبوت . وسالت دموعهما : دموع الفرح ، فرح اللقاء بعد أن ظنا كل الظن أن لا تلاقى ؛ وما إن استقرا بعد اللقاء حتى سأل علاء الدين زوجته قائلاً : أتعرفين يا أميرتي ماذا

حدث للمصباح القديم الذى كنت أضعه فى غرفة ملابسى ؟ !
فقالت الأميرة :

وأسفاه يا زوجى العزيز! يبدو لى أن سبب مصابنا الجلل هو ذلك
المصباح الذى تسألنى عنه ، فقد جاءنا بائعٌ جوالٌ يطلبُ شراء مصباح
قديم بمصباح جميل جديد، ولما كنتُ لم تقل لى شيئاً عن ذلك المصباح
القديم الصدى فقد ظننتُ جاريتى فلانةً أنك ستسر حين تعلم أننا
استبدلنا به مصباحاً جميلاً جديداً ، فنحن ، إذن ، سببٌ غير مباشر
لما أصابنا ، والمسئوليةُ مشتركةٌ بيننا ، لكننا لك أى سر عنى وأنت تعلم
مقدار حبي لك وإخلاصى ، فما ينبغى أن يكون بين الزوجين سر
مكتومٌ فأخبرنى : ما سر هذا المصباح الذى كان السبب فى مصيبتنا ،
ونقلنا إلى بلاد المغرب ؟ !

قال علاء الدين :

إذن ، عرفتُ غريمى الساحر الذى أراد أن يدفننى حياً . هل تعرفين
يا أميرتى أين يخفى المصباح ؟

قالت : إنه يحرس عليه حرصه على حياته ، ولا يأتى عليه أحداً .
إنه يضعه بين طيات ملابسه لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً ؛ ولقد أظهره لى
مفتخراً بحذقه وذكائه مطرباً الحياة التى حصل عليه بها .

فقال علاء الدين :

إن لدى خطةً ، إذا أحكمنا تنفيذها تخلصنا من هذا الساحر
الماكر ، ولا بد من ذهابى إلى المدينة . وسأعود فى الظهيرة متخفياً .

فليكن البابُ السرى مفتوحاً حتى أدخل منه فى غفلة من الساحر .
 وخرج علاءُ الدين ، وسار فى الدرب الموصول إلى المدينة . فالتقى
 بفلاح ، فأقرأه السلام فرد عليه تحيته بأحسن منها . ثم اقترب منه
 ورجاه أن يأخذ ملابسه ويعطيه ملابسه . فتردد الفلاح فى بادئ
 الأمر ظناً منه أن علاء الدين يمزحُ معه . فلما رأى فى ملامحه الجدة
 أسرع فى خلع ملابسه . وتبادلا . وولى الفلاحُ فرحاً .

ودخل علاءُ الدين المدينة . وسأل عن حى العطارين ؛ فأرشد
 إليه . فذهب إلى كبير العطارين . وطلب منه عقاراً خاصاً ؛ فنظر
 إليه العطارُ نظرة استغراب ، لأن الدواء الذى طلبه كان غالى الثمن ،
 وزيه وشكله لا يبشران بأنه قادرٌ على دفع الثمن . فقال له :
 إن ثمنه غال ، وقد لا تستطيع دفعه .

فقال له علاءُ الدين : لا تأخذن الأمور بظواهرها ؛ ما ثمنه ؟
 قال العطارُ : إن ثمنه دينارٌ .

فأخرج علاءُ الدين كيسه . وأخرج منه ديناراً . فاعتذر الرجلُ
 وأسرع ووزن له العقار الذى طلبه منه . وأعطاه إياه .
 ورجع علاءُ الدين إلى القصر ؛ ووجد الباب السرى مفتوحاً ؛
 ووجد الأميرة فى انتظاره .

قال علاءُ الدين للأميرة :

إن الخطة أنك إذا جاءك الساحرُ الليلة تتظاهرين بأنك رضيت
 بالأمر الواقع بعد يأسك من رجوعك إلى زوجك وأهلك ؛ وتقابلينه بالبشر

والترحاب ، وحديثه حديثاً لطيفاً ليناً ، وتناول معه الطعام والشراب .
 واسقيه من هذا الشراب الذى أحضرته ، وإياك أن تذوق قطرةً مما فيه .
 واحرصى على أن يشرب هو الكوب كله ! فإذا ما شربه مات فى الحال ،
 فنحصل على المصباح ، فنأمر خدمه بنقلنا ونقل القصر إلى وطننا العزيز .
 أخفت الأميرة علاء الدين فى مقصورتها الخاصة ، وذهبت إلى
 جناحه الخاص بعد أن لبست أفخر ملابسها ؛ ولما جاء الساحر
 استقبلته بشجر باسم . ونفذت الخطة التى دبرها لها علاء الدين ، وأعطت
 الساحر الكوب المسموم فشربه من فرط فرحه حتى آخر نقطة فيه
 وما استقر ما فيه من شراب فى جوفه حتى مال رأسه على جسمه . ثم
 تمدد على الأرض جثة هامدة .

وانتقل الخبر إلى علاء الدين ؛ فأسرع إلى الأميرة . وأسرعت إليه
 الأميرة ، وارتعت بين أحضانها ، وبكت فرحاً بنجاتهم من الساحر الفاجر .
 وقال علاء الدين للأميرة :

خير ما نفعل أن نرجع سريعاً إلى أبيك وأملك فإنهما يتقابلان على
 الجمر لفقدك ! اذهبي إلى مقصورتك لتستعدى للقائهما . فسوف لا
 تمضى بضعة دقائق حتى يكون القصر قد رجع إلى مكانه .
 وما إن دخلت الأميرة مقصورتها حتى ذهب علاء الدين إلى بجنة
 الساحر وفتشها فعثر على المصباح ، فدعكه . فجاءه خادمه الجنى
 فرحاً ، وقال له : لبيك ! ! لبيك ! !

فقال علاء الدين : آمرك أن تنقل القصر بنا إلى مكانه الأول فى الصين .

وما إن قالها علاءُ الدين حتى نفذها الجنى .
ولم يشعر علاءُ الدين والأميرةُ وغلمانهما وحواريهما في أثناء نقله
إلا بهزة خفيفة حين رُفع . وهزة مثلها حين وضع في مكانه .
وفي الصباح التالى استيقظ السلطانُ كعادته مبكراً . ونظر من النافذة
كما كان يفعل . فهاهنا أن يجد القصر في المكان الذى عهدده فيه ؛ فظن
أنه من فرط شوقه إلى ابنته يتخيل ، ولكنه عاود النظر - فرأى القصر .
فصاح من الفرح . ونادى زوجته فلبت نداءه . ونظرت فرأت القصر
فخرت مغشياً عليها من فرط اغتباطها . ولما أفاقت أسرعت هى والسلطانُ
إلى قصر الأميرة .

أما علاءُ الدين فإنه استيقظ في الصباح الباكر ، وليس أفخر
حلله ، وذهب إلى البهو العظيم ذى الأربع والعشرين نافذةً . وجلس
على إحدى أرائكه . ولما أعلم بمجيء السلطان وزوجته خف إلى استقبالهما ،
وسار معهما إلى غرفة الأميرة . فعانقت الأميرةُ أباهما ، ثم ارتمت في
أحضان أمها ، وسالت دموعهم من فرط ما بهم من الفرح والسرور .
وقص علاء الدين عليهما القصة عند ما سألاه عنها . واعتذر
السلطانُ لعلاء الدين عن سوء معاملتهم له . ومما قاله :

إن حزنه الشديد على فقد ابنته أفقده صوابه .
فقال له علاءُ الدين : ليس لدى ما يدعونى إلى الشكوى من معاملتك
لى . فقد كان ذلك طبيعياً ، ولو كنتُ في مكانك لفعلتُ ما فعلت ؛ إن
الساحر الماكر الذى لقي جزاءه كان السبب الأول والأخير في نكبتنا .

ولقد كان لذلك الساحر المغربي الذي أراد بعلاء الدين سوءاً مرتين ،
ونجادهُ اللهُ في كليهما أخٌ لا يقتل عنه في الكهانة والسحر ، ويفوقه في
المكر والخبث وحب الشر .

وكانا يسكنان في مدينتين مختلفتين . بينهما صحارى وبحار وسهول
ونجادٌ . وكنهما كانا قاء اتفقا على التراسل مرةً كل سنة .

ولما لم يصل من الساحر الرسالة المتفق عليها إلى أخيه ساورته
الوساوسُ . فاستشار تخت رمله ووسائله السحرية الأخرى ، فعلم منها
أن أخاه لم يعد على قيد الحياة . وأنه قد مات مسموماً . وأن الذى سمه
من أصل وضع ، وإو أنه متزوج من أميرة . وابنة سلطان عظيم . واسمه
علاءُ الدين . ويسكن فى عاصمة بلاد الصين .

حزن الساحرُ المغربي على فقد أخيه . وحز فى نفسه أنه مات بفعل
فاعل ؛ فعزم على الانتقام . وفى الحال رحل إلى الصين . ووصل إليها
بعد اختراق فياف وقفار وسهول وجبال . ولقى فى سفره هذا نصباً وعنتاً .
ولما وصل إلى عاصمة الصين نزل فى خان . ولم يمكث طويلاً حتى
تكرر سماعه الناس يتحدثون عن امرأة صالحة ؛ يذهب إليها الناس
رجالاً ونساء يلتمسون بركاتها . ويشيعون عنها الورع والصلاح والزهد
وإتيانها المعجزات .

وفكر في خطة يستعين فيها بسمعة هذه المرأة الصالحة على تنفيذ خطته فسأل عن مكانها وعن نوع المعجزات التي تأتيها .
فاستغرب الرجل الذي سأله وقال له :

عجبتُ من سؤالك عنها وعن مكانها وعن معجزاتها ! ! أفى المدينة من يجهل ذلك ؟ ! أو بعضه ؟ ! يخيل إلى أنك لست من أهلها ! إن هذه المرأة الصالحة مثالُ التقوى والزهد ، وتأتى بمعجزات هي العجبُ العجائبُ ، وهي لا تخرجُ من خلوتها إلا في يومى الاثنين والجمعة ، أو إذا دعاها داعى الخير ؛ وهي كعبةُ القصاد وبخاصة المرضى ، وهي لا تمسحُ بيدها على مريضٍ إلا تحسنتُ حالتهُ ، ورجعتُ إليه صحته .

ولما عرف مكانها ذهب إليها ليلاً وقتلها ودفنها في خلوتها ، وأخرج من جرابه أصباجاً عدة ، ودهن وجهه وغضنه وأكثر تجاعيده حتى ليخيل لمن يراه : أنه وليةُ الله التي يعرفها الناسُ جميعاً ، ثم لبس ملابسها وتلثم بلثامها ، وأدار على وسطه حزامها ، وأخذ مسبحتها الطويلة في إحدى يديه ، وأمسك عصاها بيده الأخرى ، وقصد في الحال إلى قصر علاء الدين .

وما إن رأى الناسُ من ظنوه أنه وليةُ الله الصالحة حتى سارعوا إليها يقبلون يديها ويلتمسون بركتها ، ويلتمون ذيل ثوبها ، أما المرضى فكانوا يقتربون منها راجين أن تضع يدها عليهم ، وتدعو لهمُ الله أن يهب لهم الشفاء ، فكانت تفعلُ وتتسمُ بكلمات غير مفهومة ؛ وأخيراً وصلت إلى ميدان القصر .

ولقد كان عددٌ منٌ حولها من الناس كثيراً ، وكانوا يتزاحمون على الوصول إليها لالتماس البركة : وكانت لهم جلبةٌ ضوضاءٌ ، وصلت إلى مسامع الأميرة التي كانت جالسةً في البهو العظيم ، فأطلت من النافذة : وسألت إحدى جواريتها : ما خطبُ الناس ؟ !

فقالت : إنهم مجتمعون حول ولية الله فاطمة .
ولما كانت الأميرةُ تسمع العجب العجيب عنها ، ولم ترها ، فإنها ودت أن تزلها ، وتستمع إلى حديثها ، ليصيبها شيء من بركاتها .
فأرسلت أربعةً من غلمانها إلى الولية المزعومة ، وما إن رأى الناس أربعةً من حاشية الأميرة قادمين نحو الولية الصالحة حتى تفرقوا .
أما الساهرُ — أى الوليةُ الصالحةُ — فقد شاهد أن الغلمان يتقدمون نحوه . فسار إليهم وقد سر من أن خطته سائرة سيرها المرسوم لها .
وقال أحدُ المماليك له : أيتها الولية الصالحةُ ! إن الأميرة تريدُ أن تراك ، وقد أرسلتنا في طلبك .

فقالت الوليةُ المزعومةُ : إن تلبية دعوة الأميرة لشرفٌ كبيرٌ لى ، وإني مستعدةٌ للذهاب معكم إليها .

ولما مثلت بين يدي الأميرة حنت رأسها تحيةً وإجلالاً ، فقالت لها الأميرةُ : أمي الطيبة ! إني أطلب منك شيئاً واحداً ، وأرجو ألا ترفضيه ؛ وهو أن تقيمي معنا حتى نأتم بك في حياتنا ، ونحذو حذوك في سلوكك وصلاتك وصومك ، فقد تنفعنا قدوتك الحسنة .
فقالت فاطمةُ المزعومةُ : أيتها الأميرةُ ؛ أرجو أن لا تسأليني

ما لا قبل لى به ؛ لأن فيه تعطيلاً لشعائر الدين من صلاة أو عبادة .
 فقالت الأميرةُ : إن مكثك معنا لا يمنعك من عبادتك ونسكك
 وصلاتك ؛ فإن فى قصرى عشرات المقصورات ؛ فاخترى منها ما يحلو
 لك . ولك مطلق الحرية فى تأدية فرائض دينك كما لو كنت فى خلوتك .
 أما الساحرُ الذى لم يكنْ يحلمُ بأكثر من أن تسمح له بالدخول
 إلى القصر حيثُ يسهلُ عليه تنفيذ خطته . فإنه قال للأميرة :
 أيتها الأميرةُ ! على الرغم من رغبتى فى الوحدة لعبادة الله فى سر
 عن الناس ، ومنأى عن الضوضاء والصخب . ليخلص تفكيرى فى الله ،
 فإنه لا يسعنى أن أرفض طلب أميرة صالحة مثلك .

فسرت الأميرة من مقالها ، ثم قالت لها :
 تعالى معى لأريك المقصورات التى تختارين واحدةً منها .
 واختارت الصالحةُ المزعومةُ أقل الغرف وأصغرها ، إمعاناً فى إيها
 الأميرة بصلاحتها وتقواها ، وقد كانت الأميرة تود أن تجلس وايةُ الله معهم
 فى البهو الكبير . وتتناول فيه الطعام . فأبَتْ ، لأنها خافت أن يفتضح
 أمرُها إذا كشف عنها القناعُ لسبب من الأسباب ؛ فقالت للأميرة :
 أعفنى يا أميرتى من الأكل معكم ، وإنه ليكفينى فى دنيائى كسرة
 أمسكُ بها رمتى ، فلتأذنى فى أن أتناول طعامى المتواضع فى غرفتى الخاصة .
 فسمحت لها الأميرةُ بذلك ، وقالت لها :

أزمو أنْ تشعري أنك فى خلوتك ، وسأرسل لك غداءك وعشاءك
 وفطورك كلَّ يوم فى غرفتك الخاصة ، وإنى أريد أن أكلمك فى أمر

بعد تناولك طعام الغداء .

وبعد أن تغدت العابدةُ الساحرةُ ، أرسلت الأميرةُ إليها مجاريةً تصحبها إلى حيث تجلس في البهو الكبير لتتحدث إليها فيما رغبت أن تتحدث إليها فيه .

ولما جاءت قامت لها الأميرةُ ، وأجلستها ، وقالت لها :

إن قصرى قد شرف بأصلح امرأة ، وقد حلت بتصرى البركةُ وإنى أريدُ بعد أن أطوف بك في أنحاء القصر أن تخبرينى صراحةً عن رأيك فيه ، وقبل أن نبدأ الطواف بأقسامه الكثيرة أسألك أن تبدى لى رأيك في هذا البهو العظيم .

فسرحت المرأةُ ناظريها في أرجاء البهو ، وبعد صمت طويل قالت : مع أنى عشتُ وحيدةً بعيدةً عن أبهة الدنيا وزخرفها . فإنى أعتقدُ أن هذا البهو عظيمٌ وفخمٌ ولا ينتقصه إلا شىءٌ واحدٌ .

فقالت الأميرةُ في استغراب : بالله عليك أيتها الوايةُ الصالحةُ اتخبرينى عن الشىء الذى ينتقصُ هذا البهو العظيم ! لقد سألتُ عشرات الناس العارفين فأجدهوا على أنه فريدٌ ، ولا ينتقصه شىء .

فأرجوك أن تدليننا على هذا النقص لنكمله في الحال .

فقالت الوليةُ الطيبةُ : أستدبحك الصنح إذا كان ما بدر منى ضايقتك ، وإكنى جملتُ على الصراحة ، إن هذا البهو في رأيى ينتقصه أن يعاق في وسط قبته بيضة الرخ . فإذا فعلت ذلك فلا يكونُ له مثيلٌ في أركان الأرض الأربعة ، ويصبحُ بعد ذلك أعجوبة الدنيا .

فقالت الأميرة وهي فرحة مستبشرة: وما الرخ؟ وكيف الحصولُ على بيضه.
 فقالت - المرأة الطيبة - الساحر المتخفي: إنه طائرٌ عظيمُ الحرم،
 يسكن في قلال جبال قاف، وإن المهندس الذي استطاع أن يبني هذا
 القصر الفخم الضخم يستطيع أن يحضر لك بيضةً من بيض الرخ.
 فابتهجت الأميرة بهذه الفكرة، وشكرت ولاة الله على توجيهها
 وإرشادها، وعدت ذلك منها نصيحةً غاليةً تحرصُ على العمل بها.
 وقضت الأديرةً وقتاً غير قصير تجاذبها أطراف الحديث في شتى
 الموضوعات. ومع ذلك فإن بيضة الرخ لم تنارق ذهن الأميرة، وعزمت
 على أن تطلب من علاء الدين أن يحضر لها واحدةً بمجرد أن تراه.
 وجاء علاء الدين في المساء، فاستقبلته الأميرة بثغر باسم، ثم
 أخذت تتحدث إليه في شأن القصر، وقالت له فيما قالت:
 لقد كنتُ أظن أن قصرنا أعظمُ قصور الدنيا، وأنه كاملٌ لا
 ينقصه شيء. ولكن وضع اليوم أنه ينقصه شيء. هو عزيزُ المنال
 على غيرك، ولكنه سهلٌ حينٌ عليك!
 فسألها علاء الدين، وثغره باسم، ووجهه مهلل:
 وما هو هذا الشيء الذي ينقص قصرنا؟!
 قالت الأميرة: إن هذا الشيء هو بيضةُ الرخ، يؤتى بها فتعاقُ
 في وسط قبة البهو الوسطى.
 فقال لها علاء الدين! يا أميرتي! إنه ليسعدني أن ألبى، وأن أجيبك
 إلى ما تطلبين.

وخرج علاءُ الدين ، وخلا إلى نفسه في غرفة خاصة ومعه المصباح ،
فدعكه فجاءه الجنى خادمه .

فقال له علاءُ الدين : أريدُ أن تحضر لي بيضةً من بيض
الرخ ، وتعلقها في القبة الكبرى للبهو العظيم .

وما انتهى علاءُ الدين من كلامه حتى اهتزت أركانُ القصر اهتزازاً
شديداً أوشك القصر معه أن ينقض ، وصرخ الجنى صرخة دوت في
أرجائه ، وذهل لها علاء الدين .

ثم انفجر الجنى ، وأخذ يرغى ويزبد ويقول :

ألم يكفك ما صنعتُ لك ؟ ! ! جمعتُ لك الأحجار الكريمة من
كل واد ، وبنيتُ لك قصرًا عظيمًا ليس له مثيل في العالم .
ألم يكفك ذلك ، وطلبت مني أن أحضر لك سيدى ؟ ! يالانكران
الجميل ، وكفران النعمة ! !

إن طلبك هذا لو كنت أنت الذى فكرت فيه لهدمتُ القصر على
رأسك ورأس الأميرة ، وامكنك والأميرة كنما آلة في يد الساحر المغربي
الخبث ، فهو الذى حرض الأميرة على أن تطلب مني ما طلبت ،
وهو يعلم أن فى ذلك هلاككما ! إنكما تظنان أنه فاطمة وايةُ الله
الصالحةُ الزاهدةُ المتعبدة ، إنها ليست هى ، بل هو قاتلها . لقد تسلل
إلى خلوتها فى هدأة الليل وقتلها ودفنها . ودهن وجهه ليشبهها ، ولبس
ملابسها ، وجاء إليكم ليسعى فى قتلكما ، فإذا لم تسرع إليه وتقتله قتلك
أخذاً بثأر أخيه الساحر المغربي الأول .

قال الجنى مقالته واختفى . . . ! !
وعاد الهدوءُ إلى علاء الدين تدريجاً ، ولما هدأ تمام الهدوء ذهب
إلى حيثُ تجلسُ الأميرةُ وقد نوى أمراً ، تظاهر بأن به وجعاً شديداً في
ذراعه ، وأخذ يتأوه ، فدعرت الأميرةُ وقالت له :
إن من حسن الحظ أن بالقصر ولية الله الصالحة فاطمة ، المشهورة
بأنها تبرىءُ من الأمراض ، وتشفى من العلل .
فقال لها : أرجوك أن تحضرها على جناح السرعة لأن الألم في ذراعي
شديدٌ .

فذهبت الأميرةُ إلى مقصورة الساحر المزعوم الخاصة ، ورجتها أن
تأتى معها لتخفف بركتها ما يشعرُ به زوجها من ألم !
وافتر ثغرُ الساحر الماكر ، وابتسم ابتسامةً صفراء باهتةً ، لأنه
رأى الفرصة قد واثتهُ ، فنهض معها ، وتوجهها إلى حيثُ ينام علاء الدين
على أريكة يتظاهر بالشعور بألم شديد .
ولما شعر علاءُ الدين بمقدمهما نظر إلى الساحر متفرساً ، فرأى
أنه يخبيءُ سكيناً كبيرة بين طيات ثيابه ، وقد وضع يده على مقبضها
استعداداً لغرسها في صدره ، وما إن اقترب الساحرُ من علاء الدين حتى
مد إليه يده بسرعة البرق ، واختطف السكينة وأغمدتها في صدره ؛
فسقط على الأرض ، يتخبط في دمه ، ومات .
وهال ذلك الأميرة ، فصرخت وولولت ظانةً أن علاء الدين قد
أصابه مس وطاف به طائفٌ من الجن ، فقتل نفساً طاهرةً حرم الله

قتلها ، فقالت له - والاسى ^(يملأ قلبه) !
 ماذا فعلت يا زوجي العزيز ؟ ! لقد قتلت ولية الله فاطمة من
 غير ذنب بجنته !

فقال لها : يا أميرتي ! لقد نجاك الله ونجاني من شر هذا الغادر
 الأثيم الذي أرديته قتيلاً !

ليس يا أميرتي ما ترين أمامك فاطمة الزاهدة . ولكن الذي أمامك
 ساحرٌ غادرٌ . بناءً ليقتلنا أخذاً بثأر أخيه الساحر الذي قتلناه في بلاد
 المغرب ، أما الزاهدة والولية الصالحة فقد قتلها هذا الوغد الغادر الأثيم .
 ثم تقدم إلى الجثة ، وكشف اللثام عن وجهها : فظهرت ملامح
 الرجل الغادر : والساحر الماكر .

لقد رد الله كيد الساحرين إلى نحرهما ، فإنا أشنع ميتة جزاءً
 وفاقاً لما اقترفته يداهما !

أما علاء الدين وزوجه الحبيبة . فقد عاشا سعيدين مدةً من
 الزمان ، مات بعدها السلطان . ولما لم يكن له ولدٌ تولت الأميرة السلطنة ،
 ووكلت تصريف شئونها لزوجها العزيز ، فسعدا . وسعدت السلطنة
 بهما ، وعاشا طويلاً في سعادة وعز ومجد . وأنجبا ذريةً صالحةً أنبتها
 نباتاً حسناً .

وظلا كذلك إلى أن أتاها هادم اللذات ومفرق الجماعات . وسبحان
 الحى الذى لا يموت .

رقم الإيداع	١٩٩١ / ٣٤٩٣
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-3246-7

١ / ٩٠ / ١٨٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

الف ليلة وليلة

هذه طبعة جديدة من هذه المجموعة التي تنتمي إلى التراث الشعبي.. والتي نالت إهتماماً عالمياً في الشرق والغرب.. وترجمت إلى كل لغات العالم..

وتتمتاز هذه الطبعة بحسن الصياغة التي تناسب عقول الشباب والناشئة.. وتخلو من الشوائب التي توجد في طبعات كثيرة..

إنها واحدة من عيون التراث الذي تحرص دار المعارف على تقديمه إلى القارئ العزيز..

صدر منها:

- | | |
|----------------------|-----------------------------------|
| ١ - شهرزاد ودنيا زاد | ٧ - عبدالله البري وعبدالله البحري |
| ٢ - السندباد البحري | ٨ - أبو الحسن وجاريته تودد |
| ٣ - قمر الزمان | ٩ - الحصان المسحور |
| ٤ - الصياد والعفريت | ١٠ - علي بن بكار وشمس النهار |
| ٥ - معروف الإسكافي | ١١ - علي الزئبق ودليلة المحتالة |
| ٦ - الأحذب والخياط | ١٢ - علاء الدين والمصباح العجيب |
| | ١٣ - علي بابا |



دارالمعارف

قرش جنييه
٢.٥٠